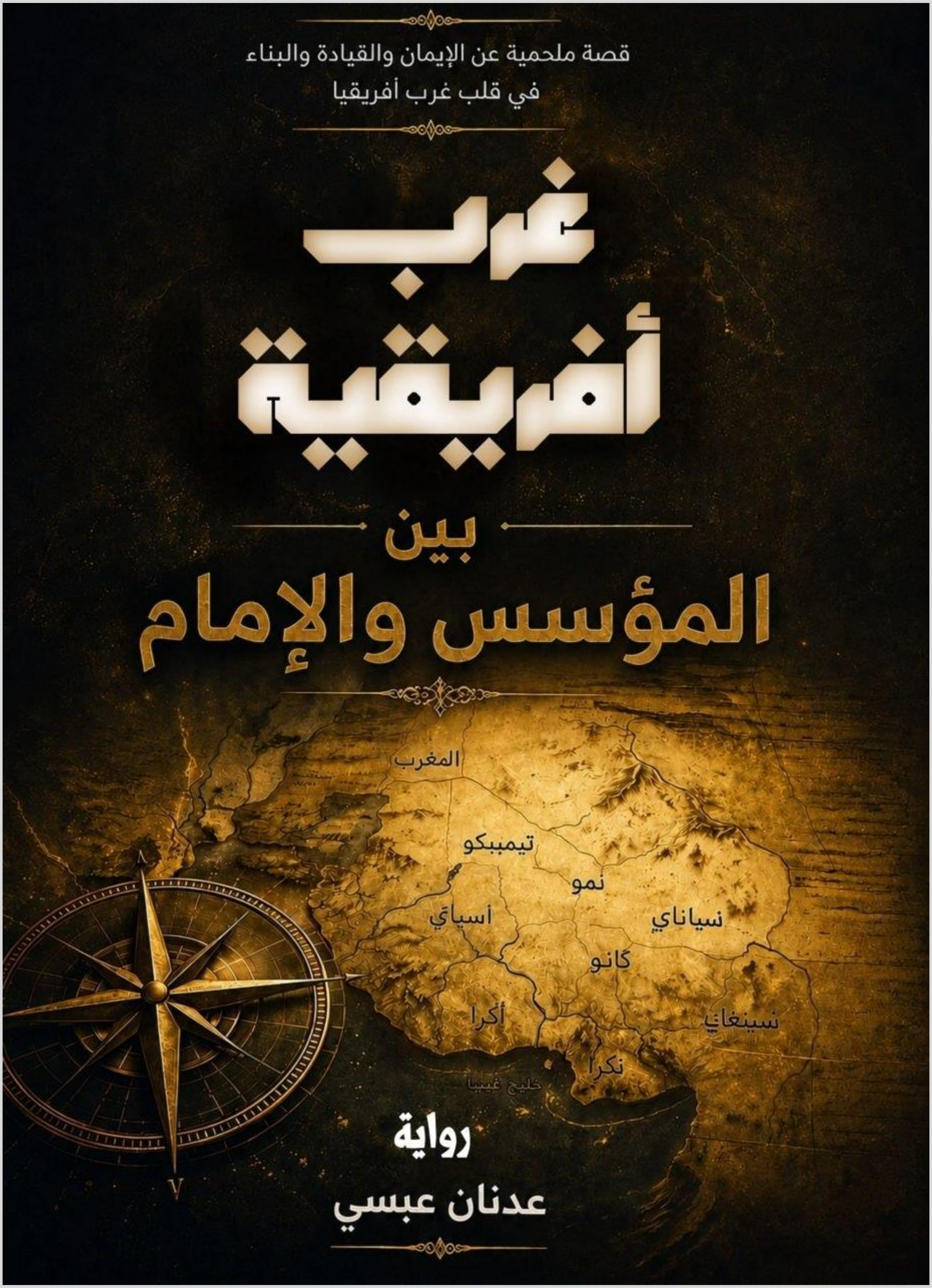

قصة ملحمية عن الإيمان والقيادة والبناء
في قلب غرب أفريقيا
غرب
أفريقية
بين
المؤسس والإمام
المغرب
تيمببكو
نمو
أسياي
نسيناناي
گانو
أكرا
نسينغاي
نكرا
رواية
عدنان عبسي



غرب إفريقية

: المقدمة

عندما علمتُ أنَّ للحياةِ وجهًا آخرَ غيرَ الذي أعيشُه، وأنَّ حياةَ العبثِ واللهوِ لا تليقُ بمنْ أرادَ العزةَ والكرامةَ، قررتُ أنْ أكونَ لبنةً في بناءِ أمتي؛ فبحثتُ في أمهاتِ كتبِ التاريخِ، وأبْحرتُ في بحرِ علومِ القرآنِ أستنيرُ بنورِه وأستهدي بهداه.. ثمَّ اخترتُ هذا الطريقَ الذي

سلكتُه. وعندما لمْ يكنِ القتالُ هوَ ضالتي في ذاتِهِ، بلْ عودةُ الناسِ إلى الدينِ الحقّ بكلّ وسيلةٍ مشروعةٍ في الإسلامِ، قررتُ في العامِ ١٤٣٥ هجريةً الموافقِ ٢٠١٤ ميلاديةً الهجرةَ إلى أرضِ نيجيريا، حيثُ ما يُعرفُ إعلاميًا بـ(بوكو حرام) وهيَ جماعةُ أهلِ السنةِ للدعوةِ والقتالِ، وإمامُها يُعرفُ للقاصي والداني منْ مللِ الأرضِ (أبو بكرٍ الشكويُّ). ذهبتُ بنيةِ الدعوةِ والإصلاحِ قبلَ القتالِ؛ ليقومَ للمسلمينَ الضعفاءِ ملاذٌ آمنٌ منْ اضطهادِ نصارى نيجيريا. رأيتُ مجازرَ مدينةِ جوسَ وعدةِ مدنٍ، ورأيتُ جماعةً قامتْ في ولايةِ بورنو لقيامِ دولةٍ إسلاميةٍ لكنَّها تفعلُ أفعالًا تخالفُ أحكامَ الشريعةِ رغمَ صدقِ أهدافِها. بحثتُ كثيرًا في تاريخِ هذهِ المنطقةِ فوجدتُني أزدادُ رغبةً في القيامِ بواجبِ الدينِ والنصرةِ كما قالَ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ: "انصرْ أخاكَ ظالمًا أوْ مظلومًا" رواهُ البخاريُّ. نصرةُ المظلومِ تكونُ بدفعِ الظلمِ عنهُ، بينما نصرةُ الظالمِ تكونُ بمنعِهِ وحجزِهِ عنْ ظلمِ

الآخرينَ. وبينَ يديِ القارئِ قصتي في غربِ أفريقيا؛ ليكونَ التاريخُ خيرَ معينٍ في طريقِ الإصلاحِ ونهضةِ الإسلامِ منْ جديدٍ.. لنستفيدَ منْ أخطاءِ الماضي ونمضيَ في طريقِ الحقِّ. وليعلمْ كلُّ مصلحٍ أنَّ النجاحَ يبدأُ بخطوةٍ صادقةٍ.

الجزء الأول: أرض القرود

نيجيريَا تلْكَ الأرضُ الغنيَّةُ بكلِّ الخيراتِ؛ تقعُ غربَ القارَّةِ السَّمراءِ، ويتنوَّعُ مناخُهَا كمَا يتنوَّعُ إنسانُهَا. يسكنُ هذِهِ الأرضَ ملايينُ المسلمينَ منْ قبائلَ كانَ لهَا تاريخٌ عظيمٌ في الإسلامِ قديمًا، مثلُ قبائلِ: البَرْنُو، والفُولَانِي، والهَوْسَا.

شمالُهَا يعتنقُ الإسلامَ، وجنوبُهَا ينتمِي للديانَةِ النَّصرانيَّةِ، أمَّا جنوبُهَا الشَّرقيُّ والغربيُّ ففيهِمَا دياناتٌ أخرى. وقدْ كانتِ البلادُ تحتَ الاحتلالِ البريطانيِّ، وشرقُهَا تصارعَتْ فيهِ بريطانيَا وفرنسَا.

تجمعُ هذه الأرضُ أنهارًا، وجبالًا، وأراضٍ منبسطةً، وسهولًا، وغاباتٍ؛ كلُّ ما يحلمُ بهِ الإنسانُ منْ متعَةِ الطَّبيعَةِ! وتحتوي كنوزًا تحتَ الأرضِ: بترولٌ، وذهبٌ، ويورانيومٌ، وكلُّ ما نتوقَّعُ. لكنْ، هكذَا دائمًا، لا يتركُ المستعمرُ للمسلمينَ إلَّا فتاتَ الدُّنيَا.

لمْ أكنْ أتوقعُ يومًا أنْ تطأَ قدمي أدغالَ أفريقيا، بعدَ أنْ عشتُ يومًا ما في مدينةِ الأحلامِ نيويورك، لكنَّها الحياةُ الغريبةُ والعجيبةُ والأقدارُ التي تسوقُكَ حيثُ يريدُ اللهُ.

سألتُ اللهَ أنْ يدركَني في ساعاتِ الضياعِ وفي أفجرِ الأماكنِ، ولا رقيبَ يومئذٍ سوى

عينِ اللهِ تحرسُكَ، ودعواتِ الوالدينِ، وما يخفي لكَ القدرُ.

تسقطُ الأبراجُ في لحظاتٍ حاسمةٍ منْ تاريخِ الأمةِ، وأرى اللهبَ يتصاعدُ في سماءِ مدينةِ

الأحلامِ. مَنْ هؤلاءِ الغرباء

ثمَّ تمرُّ السنينُ لأكونَ غريبًا يسكنُ في أرعبِ مكانٍ عندَ الناسِ وأروعِ مكانٍ في قلبي؛

عمقِ سمبيسا* أرضِ الموحدينَ. بينَ هذا وهذا قصةٌ يصعبُ سردُها، لكنْ سنحكي عنكِ

يا نيجيريا التي تعني أرضَ القرودِ، ونحكي عنْ رجالٍ لا يعرفونَ المستحيلَ حينَ علموا أنَّ

اللهَ مَنْ بيدهِ ملكوتُ كلِّ شيءٍ، انطلقوا باسمِ اللهِ في الأرضِ.

من الدعوة إلى القتال



ارتفعَ صوتُ الشيخِ محمدِ يوسفَ (أبو يوسفَ) وهوَ يقولُ لطلابِهِ: "لا تغتروا بكثرةِ عددِكُمْ، فعندَ البلاءِ سيبدو مَنْ صدقَ معَ اللهِ" سيكونُ البلاءُ حتمًا. هكذا تحدثَ الشيخُ في محاضرتِهِ الأخيرةِ أمامَ أكثرَ منْ ألفيْ شخصٍ منْ طلابِهِ ومريديهِ. كانَ يتوقعُ أنْ تبدأَ الحكومةُ النيجيريةُ في التعاملِ معَ معهدِهِ بصورةٍ مختلفةٍ، ربما بالعنفِ والسلاحِ، ويرى أنَّ ذلكَ منْ سنةِ اللهِ في أصحابِ الدعواتِ، وصدقَ الشيخُ رحمهُ اللهُ.

كنتُ معَ ابنِ أختِ الشيخِ في طريقِنا منْ (الفتحِ المبينِ) إلى الغابةِ، وهوَ يسردُ لي قصتَهُ يومَ جاءَ بفارغِ طلقةٍ أطلقَها الجنودُ على طلابِ الشيخِ، فحملَها إلى الشيخِ كيْ يراهَا ويعلمَ أنَّ المعركةَ قدْ بدأتْ، فقالَ حينها رحمهُ اللهُ: "اللهمَّ اخترْ لي الشهادةَ فهذا ما كنتُ أرجوهُ"، فأُسِرَ الشيخُ وقُتِلَ في أسرِهِ رحمهُ اللهُ، وقُتِلَ معهُ أكثرُ منْ (٢٠٠) منْ طلابِهِ رحمهمُ اللهُ جميعًا في شوارعِ مايدوغري أمامَ الشاشاتِ والعالمُ يسمعُ ويبصرُ. وحرَّقَ الجيشُ المعهدَ التعليميَّ وشرَّدَ الموحدينَ في الأرضِ. كانَ ذلكَ في عامِ ٢٠٠٩ م، فكانتْ دعوةُ الشيخِ سبعَ سنواتٍ في سبيلِ اللهِ عامرةً بالدعوةِ إلى اللهِ.

برزَ منْ طلابِ الشيخِ رحمهُ اللهُ عدةُ أسماءٍ، ولكنْ كانَ أبو بكرٍ الشكويُّ أعظمَهمْ حظًّا، حيثُ فتحَ اللهُ على يديهِ نشأةَ أولِ تنظيمٍ جهاديٍّ في بلادِ ما يُعرَفُ بـ نيجيريا، والذي جمعَ فيهِ مَنْ تبقى منْ أتباعِ دعوةِ الشيخِ أبو يوسفَ، وبدأَ في الدعوةِ والجهادِ.

كيفَ نشأتْ دعوتُه للعملِ المسلحِ؟

مَنْ كانَ معهُ في بدايتِهِ؟

كيفَ اختارَ الغابةَ بعدَ أنْ ضاقتْ بهمْ مايدوغري؟

هلْ مضى على خطى المؤسسِ؟

وغيرُها منْ الأسلةِ نواصلُ في الإجابةِ عنها.

الوجه الثاني لإفريقية

أرسلَ إليَّ أحدُ الأصدقاءِ رسالةً قصيرةً، مؤثرةً لمنْ يعرفُ حقيقةَ الإسلامِ وحجةً على مَنْ قرأَها، رسالةَ عتابٍ منْ عمقِ غاباتِ بورنو، رسالةً منْ أحدِ شيوخِ جماعةِ أهلِ السنةِ للدعوةِ والجهادِ، يقولُ فيها: (لماذا لا تهاجرونَ إلينا نحنُ العجمَ ونصرتُكمْ كلُّها إلى أرضِ

العراقِ والشامِ أرضِ العربِ؟ نحنُ إخوانُكُمْ نحتاجُ العالمَ والمقاتلَ والخبيرَ في كلِّ مجالٍ)

هذا جزءٌ منْ حديثٍ جعلني أغيرُ وجهتي إلى أرضِ بورنو حيثُ الرجالُ الصادقونَ

"نحسبُهُمْ".

كانَ كثيرٌ منَ الإخوةِ يظنُّ ولائِي وانتمائِي لتنظيمِ القاعدةِ، وذلكَ بسببِ علاقتِي بالتنظيمِ

في العراقِ، وبعضِ النشاطِ الخاصِّ بعدَ رجوعِي لبلادِي.

وكانَ هذا التصوُّرُ هوَ سببَ دعوةِ الشيخِ أبِي عبدِ اللهِ التشاديِّ لِي للإلتحاقِ بجماعةِ أهلِ

السنةِ للدعوةِ والجهادِ في نيجيريَا، يريدُ بذلكَ تحييدَ الجماعةِ في الصراعِ بينَ القاعدةِ والدولةِ

في ذلكَ الوقتِ، وإصلاحَهَا منهجيًّا. هكذا فهمتُ سببَ تزكيتِهِ لِي عندَ أبِي بكرٍ الشكويِّ

قبلَ وصولِي إلى هناكَ، وكانَ لا يعلمُ وقتَهَا أنَّ الجماعةَ بايعَتِ الدولةَ الإسلاميةَ سرًّا.

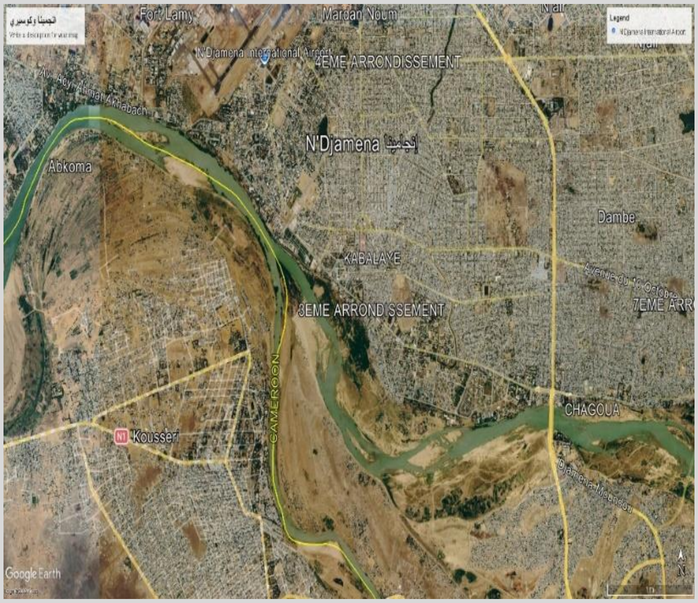
كنتُ لا أعلمُ كثيرًا عنْ هذهِ الجبهةِ المشتعلةِ، أسمعُ فقطْ أنَّ أميرَها أحدُ أكبرِ المطلوبينَ دوليًا عندَ أعداءِ الإسلامِ.

جاءني الناصحونَ يحذرونني منْ الذهابِ، فقدِ اشتهرتْ هذهِ الجبهةُ بمسائلَ تفردتْ بها وخالفتِ التيارَ الجهاديَّ، فبدأتُ في جمعِ المعلوماتِ عنها منْ الإعلامِ الصادقِ والكاذبِ، وأدرسُ ما يقولونَهُ في منهجِهمْ منْ مصادرِهِ وما هوَ الصوابُ، وسألتُ أهلَ العلمِ في ذلكَ ممنْ أثقُ بهِ، ثمَّ قررتُ أنْ يكونَ لي دورٌ في نصرتِهمْ بالدعوةِ، وعزمتُ الهجرةَ تلبيةً للنداءِ واللهُ المعينُ الهادي للحقِّ.

بدأتْ رحلتي وقدْ بلغتُ منْ التجاربِ في ساحةِ الجهادِ ما يجعلُني أشقُّ طريقي وأنا أدري ما أريدُ بفضلِ اللهِ عليَّ.

طريق الهجرة :

كانتْ إنجمينَا محطتِي الأولَى، مدينةً بسيطةً وهشةً أمنيًّا بصورةٍ واضحةٍ، كلُّ شيءٍ بالرشوةِ.. المالُ هوَ سيدُ المواقفِ. جلستُ في بيتِ الضيافةِ الخاصّ بالجماعةِ لمدةِ شهرٍ، وأثناءَ ذلكَ قامَ المنسقُ بمحاولتينِ لعبورِ الحدودِ، ولكنْ كانَ الفشلُ هوَ عنوانَ كلِّ محاولةٍ. وكانَ أقصرُ طريقٍ هوَ عبرَ الكاميرونِ، لا يتجاوزُ مائةَ كيلومترٍ بينَ تشادَ وقمبارُو النيجيريةِ.



المحاولةُ الأولَى عبرَ الكاميرونِ توقفتْ سريعًا، بسببِ هجومٍ قامَ بهِ أحدُ قادةِ الجماعةِ على معسكرٍ للجيشِ الكاميرونيِّ في شمالِ غربِ الكاميرونِ. قبلَ هذا الهجومِ كانتِ الحكومةُ الكاميرونيةُ تغضُّ الطرفَ عنْ تحركاتِ الجماعةِ ونشاطِهَا التجاريِّ داخلَ الأراضي الكاميرونيةِ، ولكنْ تغيرَ الأمرُ، ونشرَ الجيشُ قواتِهِ بكثافةٍ، وانقطعَ طريقُ الدعمِ اللوجستيِّ منْ تشادَ عبرَ الكاميرونِ.

كانتِ المحاولةُ الثانيةُ عبرَ الحدودِ النيجريةِ، توقفنَا عندَ أولِ نقطةِ تفتيشٍ عسكريةٍ، وكانَ العسكريُّ يرددُ "أترنجِي أترنجِي" بلكنةٍ فرنسيةٍ، نظرتُ إلى المهربِ لكيْ يتصرفَ معهُ فأَنَا لا أعلمُ ما يجبُ قولُهُ. قامَ المهربُ بدفعِ المالِ، وتحركتِ السيارةُ نحوَ وجهتِهَا، وعلى طولِ الطريقِ الحلُّ لكلِّ مشكلةٍ هوَ المالُ.. كنتُ أقولُ في نفسِي إنَّهَا أفريقيَا لنْ

تتغيرَ! تعلمتُ منْ هذهِ المحاولةِ أنَّ إجادةَ اللغةِ التشاديةِ لا تكفِي وحدَهَا، فملامحِي كانتْ عربيةً كمَا يقولونَ لِي، وهذا الطريقُ لا يسلكُهُ عربٌ.

عدتُ منَ الحدودِ إلى إنجمينَا، وقدْ قررَ الإخوةُ أنْ نخوضَ مغامرةً جديدةً عبرَ البحيرةِ، فهذا الطريقُ لأمثالِي مخاطرةٌ تحتاجُ ترتيباتٍ عاليةً.

سلكْنَا طريقَ البحرِ بعدَ مغامراتٍ عصيبةٍ، فبمجردِ ذكرِ كلمةِ بوكو حرام تهتزُّ قلوبُ المنافقينَ والطواغيتِ، لذلكَ كلُّ خطوةٍ بحذرٍ. وكانَ لونُ بشرتي أكبرَ عائقٍ في الطريقِ لكنَّ اللهَ ذللَ لي كلَّ الصعابِ، كنتُ أتعجبُ وأنا في طريقِ رحلتي كيفَ سيكونُ دخولِي إلى أرضِ الأسودِ؟ وهلْ هيَ غاباتٌ فقطْ أمْ جبالٌ أمْ سهولٌ؟ وهلْ سأكونُ متلثمًا أمْ كاشفَ الوجهِ؟ وكيفَ وكيفَ؟

فقدنَا الطريقَ في وسطِ البحيرةِ ونفدتِ المؤنةُ، ثلاثةَ أيامٍ نأكلُ منْ أعشابِ البحيرةِ تعجبتُ منهم لا يحملونَ جهازَ تحديدِ الموقعِ ويعتمدونَ على خبرتِهمْ فقطْ.

بعدَ محاولاتٍ كثيرةٍ استطعتُ تفعيلَ تحديدِ الموقعِ على جوالِ أحدِ الإخوةِ، فوجدنَا أنَّنَا في داخلِ حدودِ الكاميرونِ، وكانَ أمرًا خطيرًا. بفضلِ اللهِ قامَ القائدُ بالاتصالِ بالإخوةِ ووصفَ لهمْ مكانَنَا، فوصلتِ النجدةُ سريعًا، وأكملنَا طريقَنَا بقيةَ الليلِ حتى إذا كانَ الفجرُ..

لاحَ الشاطئُ منْ بعيدٍ وألمحُ في الأفقِ ساريةً طويلةً تعانقُ السماءَ وعليها رايةُ التوحيدِ. لمْ أصدقْ عينيَّ وأميرُ الرحلةِ يقولُ لي: ها قدْ بلغْنا مرادَنا. كنتُ أتحرقُ شوقًا أنْ تطأَ قدمي هذهِ الأرضَ الطاهرةَ التي خضعتْ للهِ ربِّ العالمينَ بجهادِ رجالٍ باعوا حياتَهمْ للهِ.

استقبلَنا شبابٌ لا يعرفونَ سوى لغةِ الهوسا والفولانيةِ، لكنني لمْ أحتجْ لفهمِ لغتِهمْ ليصلَ إليَّ ترحيبُهمْ، فيالَها منْ فرحةٍ في عيونِهمْ عندَ وصولي وهمْ يقولونَ لمنْ معي: هذا عربيٌّ!؟ تحسُّ أنَّ كلَّ شيءٍ هنا يسبحُ للهِ؛ حريةٌ منْ سلطانِ الطواغيتِ، وعبوديةٌ لمالكِ الكونِ كلِّهِ. أخذَني الإخوةُ في سيارةٍ خاصةٍ إلى مدينةِ قمبارو حيثُ جمالُ الطبيعةِ وبساطةُ المباني وقلةُ السكانِ، وهناكِ رأيتُ رجالًا لا يهابونَ الموتَ ويحبونَهُ أكثرَ منْ الحياةِ، في عيونِهمُ الشهادةُ تكادُ أنْ تنطقَ.

عاصمة الفتح المبين

لمْ أكنْ أعلمُ في الساعاتِ الأولى منْ وصولي إلى مدينةِ قمبارو أنَّ مدينةَ فوتوكول الكاميرونيةَ هيَ التي يفصلُني عنها نهرٌ صغيرٌ وجسرٌ لا يتجاوزُ طولُهُ مئةَ مترٍ فقطْ. جاءَ الليلُ بما فيهِ منْ مخاطرَ كما يعلمُ المرابطُ عندَ الثغورِ، وبدأَ التدوينُ العشوائيُّ منْ خلفِ الحدودِ

الكاميرونيةِ على قمبارو. صوتُ الانطلاقِ والسقوطِ كأنَّكَ في مكانٍ واحدٍ لقربِ المناطقِ، كانَ الهاونُ عيارًا صغيرًا وكذلكَ كانتِ الدوشكا هيَ سيدةَ الليلِ بلا منافسٍ، ورأيتُ الإخوةَ لا يهتمونَ للأمرِ، برودٌ عجيبٌ، فأنا ظننتهُ هجومًا على المدينةِ ولكنَّ أحدهمْ ممنْ يعرفُ اللغةَ العربيةَ سارعَ بشرحِ الموقفِ لي: (لا تهتمْ شيخَنا فالأمرُ يحدثُ كلَّ ليلةٍ دونَ قتلى بفضلِ اللهِ، الطواغيتُ يفعلونَ هذا حتى لا نهجمَ عليهمْ ويتجنبونَ استهدافَ أيِّ أحدٍ بعيدًا عنْ الجسرِ أوْ النهرِ).

نعمْ، هذهِ جبهةٌ جديدةٌ عليَّ لا تشبهُ العراقَ في شيءٍ حتى طريقةَ القتالِ وتفكيرَ الموحدينَ، والعدوُّ كلُّ شيءٍ جديدٍ هنا. عندَ بزوغِ الفجرِ قابلتُ أميرَ المدينةِ، شابًّا في الثلاثينَ منْ عمرِهِ إذا نظرتَ إليهِ علمتَ أنهُ القائدُ، وإذا تكلمَ علمتَ معنى كلمةِ مَنْ تواضعَ للهِ رفعَهُ. جلسَ يسألُني عنْ الرحلةِ والإخوةِ في العراقِ والشامِ وأحوالِ المسلمينَ،

والسرورُ والفرحُ ينطقُ منْ عينيهِ قبلَ أنْ ينطقَ بهِ لسانُهُ. كنتُ منْ أوائلِ المهاجرينَ إليهمْ منْ أصولٍ عربيةٍ وكنتُ حديثَ الناسِ، فتعجبتُ لاهتمامِهِمْ بالعربِ حتى قالَ لي أحدهمْ: (لأنكمْ تتكلمونَ لغةَ القرآنِ ونحنُ نحبُّ هذهِ اللغةَ.. ولأنَّنا نحبُّ دولةَ الإسلامِ).

قمبارُو مدينةٌ صغيرةٌ إستراتيجيةٌ، تقعُ على نهرٍ فرعيٍّ يصبُّ في بحيرةِ تشادَ، يفصلُ النهرُ بينَ فوتاكولَ وقمبارُو كحاجزٍ طبيعيٍّ قبلَ أنْ يجعلَهُ المستعمرُ حدودًا دوليةً.. لمْ أرَ آثارَ دمارٍ في أيِّ معالمَ للمدينةِ، فقطْ هربَ الناسُ وتركُوا كلَّ شيءٍ.



حتى القتالُ لَمْ يتركْ خلفَهُ سوَى بعضِ الآثارِ على المرافقِ الحكوميةِ والعسكريةِ؛ القتالُ هنا يستهدفُ الإنسانَ في نفسِهِ دونَ متعلقاتِ الحياةِ، هكذا طبيعةُ المجاهدينَ وطبيعةُ الطاغوتِ كأَنَّهَا ثقافةُ أهلِ نيجيريَا.

قررتُ في نفسِي أنْ أعودَ إلى هذهِ المدينةِ مرةً أخرى لأعملَ على إعادةِ السكانِ إليهَا بكلِّ ما أستطيعُ.. يجبَ أنْ تعودَ إليهَا الحياةُ؛ فهِيَ رائعةٌ ومهمةٌ عسكريًّا ولوجستيًّا.

تحركتُ في رحلتي إلى حيثُ لا أدري وقتَها. قالوا لي: يريدُكَ الإمامُ! كانَ هذا الأمرُ شيئًا عظيمًا أنْ يطلبَ رؤيتَكَ الإمامُ، فهو ليسَ أميرًا فقطْ بلْ أبٌ روحيٌّ ومعلمٌ، هوَ مَنْ جمعَ شتاتَهمْ وعلى يديهِ صارتْ لهمْ دولةٌ.

أكثرَ منْ ثلاثِمئةِ كيلومترٍ كانَ الطريقُ وأنا مذهولٌ بما أشاهدُ، كلُّ هذهِ المنطقةِ تحتَ سلطانِ الموحدينَ سبحانَ اللهِ! لمْ أكنْ أعلمُ كلَّ هذا، سمعتُ أنهمْ في الغاباتِ وبعضِ القرى ثمَّ وجدتُني أسيرُ آمنًا مئاتِ الكيلومتراتِ. لغةُ الجميعِ هيَ الهوسا وبعضُهمْ يتكلمُ البرنو والفولانيةَ وما كنتُ أفرقُ منها شيئًا حتى عاشرتُهمْ.

وصلْنا إلى مدينةِ الفتحِ المبينِ هكذا يسمونَها وهيَ عاصمةُ الموحدينَ، كانتْ أولَ بلدةٍ استولتْ عليهَا الجماعةُ، على مشارفِ غابةِ سمبيسَا، تبعدُ خمسةَ عشرَ كيلومترًا منَ الحدودِ الكاميرونيةِ، يشقُّهَا واديانِ منْ جبالِهَا الشرقيةِ نحوَ سمبيسَا. على مدخلِ البلدةِ رأيتُ مجموعةَ شبابٍ يضحكونَ وكأنَّ الدُّنيَا كلَّهَا بينَ أيدِيهمْ، رغمَ بساطةِ كلِّ شيءٍ حولَهمْ

استقبلَني أميرُ الجيشِ في جمعٍ منْ الإخوةِ، وجوهٌ كالبدرِ نائراتٌ، حقيقةً بنورِ الإيمانِ أحسبُهُمْ. تعرفتُ عليهمْ وأخبرتُهمْ عنْ تجاربي وكانوا يحبونَ أنْ أذكرَ لهمْ كلَّ صغيرةٍ وكبيرةٍ عنْ العراقِ خاصةً والشامِ عامةً، ولوْ خيَّروهمْ لاختاروا الهجرةَ إلى أرضِ العراقِ حيثُ قامتْ سوقُ الجهادِ، هكذا كانتْ نفوسُهمُ المحبةُ حتى استحييتُ لأني لستُ أهلاً لتمثيلِ الموحدينَ في العراقِ، ولكنَّهُ قدرُ اللهِ.

أخذُونِي في جولةٍ داخلَ البلدةِ، المسجدُ الكبيرُ كانَ أولَ محطةٍ، حيثُ رأيتُ قديمًا قبلَ هجرتِي إصدارًا مرئيًّا للإمامِ وهوَ يخطبُ أولَ جمعةٍ لهُ في قُوزَا، تعرفتُ على معالمِ المدينةِ وذهبتُ ليلاً إلى مقرِّ المهاجرينَ. لمْ أكنْ أسمعُ صوتًا للسلاحِ طوالَ اليومِ وهوَ أمرٌ لمْ أتعودْ عليهِ في العراقِ فحيثُ كانَ الإخوةُ كانَ القتالُ، لكنَّها حياةُ التمكينِ والدولةِ وهيَ حياةٌ جديدةٌ بالنسبةِ لي. صلَّيْنا الفجرَ في المسجدِ وكانتْ بعدَهُ كلماتُ الشيخِ محمدٍ (كبيرِ

علمائِهِمْ) قصيرةً بلغةِ الهوسا فما فهمتُ شيئًا، لكنَّهُ سارعَ بالترجمةِ وانطلقَ بلسانٍ عربيٍّ يشرحُ ما قالَ فوجدتُني أعجميًا أمامَ بلاغتِهِ، رحَّبَ بِي الشيخُ وأخذَ بيدِي إلى منزلِهِ، كانَ في منزلِهِ جزءٌ خاصٌّ بطلابِ العلمِ يسكنونَ بقربِهِ لمتابعةِ الدروسِ، خاصةً مَنْ جاءَ منْ منطقةٍ أخرى.

عندَ الإفطارِ طلبَ مِنِّي أحدُ تلاميذِ الشيخِ أنْ أدخلَ إلى غرفةٍ خاصةٍ في المنزلِ، كانتْ صغيرةً ويرقدُ فيهَا ثلاثةُ شبابٍ جرحَى، كانَ أحدهُمْ بهِ إصابةٌ بليغةٌ ولكنَّ بشاشةَ وجهِهِ تعكسُ رضَاهُ بمَا هوَ فيهِ. لمْ يخبرْنِي أحدٌ عنْ أسمائِهِمْ أوْ قِصتِهِمْ، لكنَّنِي حدَّثتُ نفسِي أنَّ هذا الشابَّ العشرينِيَّ البشوشَ ليسَ كآحادِ الناسِ هنا، وصدقتْ فراستِي فيهِ؛ "أبُو مصعبٍ البرناويُّ" فارسُ البرنُو بلَا منازعٍ.

فِي صبيحةِ اليومِ التالي ومعَ شروقِ الشمسِ كنتُ فِي دارِ المهاجرينَ، وفجأةً اهتزَّ البيتُ حتى ظننتهُ صاروخًا أصابَنا وخرجتُ مسرعًا أنظرُ خارجَ البيتِ فما وجدتُ شيئًا، ليأتيَ الجوابُ منْ جاري: (هذهِ كتيبةُ المدرعاتِ تجربُ دبابةً فِي الجبلِ، دبابةً منْ غنائمِ إحدى المعاركِ). ضحكتُ ومَنْ معي منْ المهاجرينَ لبساطةِ كلِّ شيءٍ هنا وأنا أقولُ لهُ: لا بأسَ أخي.

لمحات من الفتوحات

تزامنَ دخولي إلى مناطقِ حكمِ الإخوةِ في ولايةِ بورنو، معَ انتصارٍ جديدٍ بعيدًا عنْ العاصمةِ الفتحِ المبينِ، حدثُ هزَّ الطواغيتَ هناكَ وهوَ سيطرةُ الإخوةِ على مدينةِ داماتورو

الواقعةِ غربَ مايدوغري. كانتِ المرةَ الأولى التي تسقطُ فيها مدينةٌ كبيرةٌ بيدِ الإخوةِ،

وينسحبُ الجيشُ بصورةِ انهيارٍ تامٍّ.

كانتِ المعضلةُ في معاركِ الإخوةِ أنَّ الجيشَ النيجيريَّ لا يتركُ في المدنِ عتادًا عسكريًّا

كبيرًا عندَ زحفِ الإخوةِ تجاهَ مدينةٍ ما، لكنَّ الهجومَ كانَ غيرَ متوقعٍ وبعيدًا عنْ مركزِ

الجماعةِ في سمبيسَا، لذلكَ كانتِ الغنائمُ كبيرةً هذهِ المرةَ.

تفاجأتُ بعدَ ثلاثةِ أيامٍ فقطْ بانسحابِ الإخوةِ منها، لمْ أكنْ وقتَها أفهمُ طبيعةَ الحربِ هنا

أوْ واقعَ هذهِ المدنِ. اتضحَ لي لاحقًا أنَّ سببَ الانسحابِ هوَ صعوبةُ استمرارِ السيطرةِ

على المدينةِ وإدارةِ الوضعِ، فهيَ مدينةٌ كبيرةٌ مقارنةً بحجمِ القوةِ التي سيطرتْ عليها،

ومقارنةً بقدراتِ الإخوةِ لإدارةِ كلِّ المساحاتِ التي تحتَ حكمِهمْ. فتوحاتٌ فاقتِ

التوقعاتِ، فكانَ قرارُ الانسحابِ منْ أقوى القراراتِ وأصعبِها عليهِمْ، لكنَّ فيهِ منْ الحكمةِ ما لا يختلفُ عليهِ عاقلانِ.

كانتْ مسألةُ اللغةِ منْ أصعبِ الأمورِ، فاللغةُ السائدةُ هيَ لغةُ الهوسا ثمَّ البرناويةُ، ولكنْ كانتِ القيادةُ تعلمُ أني لا أعرفُها؛ لذلكَ جعلوا حولي بعضَ الإخوةِ الذينَ يتحدثونَ اللغتينِ العربيةَ والإنجليزيةَ، فأصبحَ التواصلُ سهلاً بينَنا. وكانَ الإمامُ والقادةُ في الإمارةِ يتحدثونَ العربيةَ أوْ الإنجليزيةَ.

كانتْ منطقةُ سيطرةِ الإخوةِ مساحةً شاسعةً تمتدُّ منْ حدودِ النيجرِ شمالاً إلى بلدةِ بازا جنوبًا، ومنْ حدودِ الكاميرونِ شرقًا حتى مئتيْ كيلومترٍ غربًا، ما عدا مدينةَ مايدوغري التي هيَ خارجَ سيطرتِهِمْ، وتحتوي على كلِّ مقوماتِ الحياةِ.

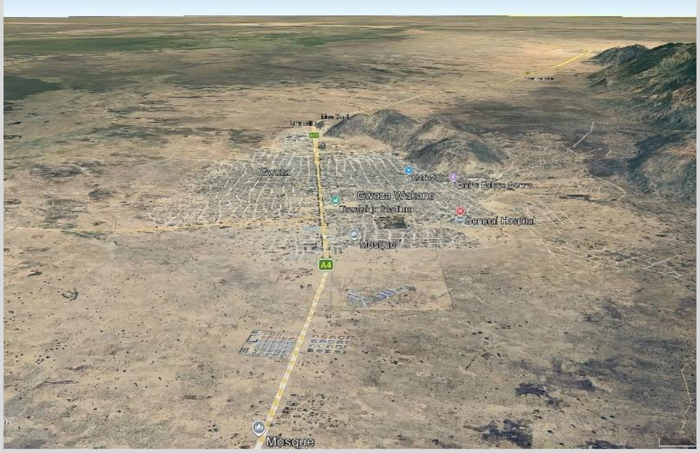
مدينةُ داماسَاك الإستراتيجيةُ لا تبعدُ عنْ مقاطعةِ ديفَا النيجريةِ كثيرًا، لذلكَ السيطرةُ عليهَا تجعلُ الشمالَ الشرقيَّ منَ الولايةِ في حالةِ أمانٍ وتمكينٍ.

بلدةُ بازَا جنوبًا لمْ تكنْ حدودَ سيطرةِ الجماعةِ الحقيقيةِ، بلْ كانَ تمددُهَا حتى ولايةِ أدماوَا حينَ سيطرُوا على مدينةِ موبِي، ثمَّ انسحبُوا منهَا إلى بلدةِ بازَا. وغربًا في ولايةِ يوبِي كانتْ تحركاتُ الجماعةِ لاستنزافِ الجيشِ دونَ محاولةِ سيطرةٍ على الأرضِ. رغمَ أنَّ تعدادَ الجماعةِ بلغَ أربعينَ ألفًا، لكنَّ جيشَهَا لا يتجاوزُ العشرينَ ألفًا.

قصة مهاجر ولقاء الإمام

جاءَني مبكرًا يطرقُ البابَ ويصيحُ: يا أبا أيوبَ هلْ أنتَ جاهزٌ؟ كنتُ في ذلكَ اليومِ على اتفاقٍ معهُ أنْ نلتقيَ الإمامَ، جاءَ بسيارةٍ عسكريةٍ ومعهُ الحرسُ الشخصيُّ، أخذَني منْ

المقرِّ وانطلقْنا. كنتُ أنظرُ خلالَ النافذةِ إلى الطريقِ الذي يشدُّكَ كلُّ ما فيهِ للتفكرِ، جبالٌ شاهقةٌ ذاتُ تضاريسَ وعرةٍ، ووديانٌ ومياهٌ تجري تشقُّ الأرضَ المنبسطةَ في الجانبِ الآخرِ بدفءِ الطبيعةِ التي تسبحُ بحمدِ ربِّها، اللونُ الأخضرُ يكسو الأفقَ في لوحةٍ تنطقُ: "ما أعظمَ هذهِ الأرضَ حينَ تخضعُ لحكمِ اللهِ!".



كانَ يقطعُ تفكيري صوتُ الأميرِ يعيدُ ترحيبَهُ بي، ويعبِّرُ عنْ سعادتِهِ بأولِ مهاجرٍ عربيٍّ سيقابلُ الإمامَ في عمقِ الغابةِ التي لا يقتربُ منْ مقرِّهِ فيها إلا مَنْ هوَ صاحبُ حظٍّ عظيمٍ. كنتُ أكادُ أطيرُ فرحًا بهذا اللقاءِ، فكمْ شاهدتُ هذا القائدَ على شاشاتِ العدوِّ

وهوَ يزمجرُ فيهمْ ويطلقُ الرصاصَ في الهواءِ بطريقةٍ غريبةٍ نذيرًا لطواغيتِ الأرضِ! وصلْنا إلى أولِ ارتكازٍ عسكريٍّ داخلَ الغابةِ، عبرْنا منهُ بعدَ دقائقَ منْ الحديثِ بينَ الأميرِ والحرسِ وفارقْناهمْ وهمْ يبتسمونَ في وجهي، ولمْ يكنْ منهمْ أحدٌ يتكلمُ العربيةَ. بعدَ ساعةٍ منْ السيرِ، ولمْ أعدْ أدركُ بأيِّ اتجاهٍ نسيرُ، بلغْنا البوابةَ الرابعةَ.

كانَ قائدُها شابًّا بشوشًا في سمتِهِ وقارٌ وصمتٌ يشدُّكَ إليهِ، تكلمَ معنا باللغةِ الفصحى بعدَ أنْ علمَ أني لا أتكلمُ الهوسا وقالَ: سأذهبُ لأستأذنَ الإمامَ، وكانَ تحركُهُ بالدراجةِ الناريةِ سريعًا. جلسْنا داخلَ خيمةٍ ننتظرُ، ثمَّ كانتِ المفاجأةُ أنَّ الذي عادَ إليَّ دراجتانِ يقودُ إحداهُما الشيخُ أبو بكرٍ بنفسِهِ! كانَ لقاءً مهيبًا، فالرجلُ ليسَ كما تراهُ في الشاشاتِ، بلْ أشدُّ هيبةً وأرقُّ لسانًا. كانتِ الضيافةُ داخلَ تلكَ الخيمةِ، وتعجبتُ منْ كرمِهِ وتكرارِهِ كلَّ برهةٍ منْ الزمنِ: (جزاكَ اللهُ خيرًا، أتيتَ نصرةً لنا وتركتَ العراقَ) يقولُها مندهشًا حتى

أحسستُ أني فعلتُ شيئًا عظيمًا.. وما كنتُ أراني إلا مقصِّرًا طالبًا للنجاةِ عندَ ربِّهِ

بالسؤالِ: ماذا قدمتَ لدينِ اللهِ؟

وجدتُ الرجلَ يعيشُ بعيدًا عنْ تكنولوجيا التواصلِ ويمنعُ مَنْ حولَهُ منها؛ لذلكَ تأمينُ مكانِهِ كانَ أمرًا سهلاً، ولكنَّهُ منْ الصعوبةِ بمكانٍ لأمثالِنا. أخبرَني أنهُ يحبُّ طلبَ العلمِ الشرعيِّ ويتمنى أنْ يجلسَ ليتعلمَهُ في حضرةِ علماءِ الجهادِ الصادقينَ، قلتُ في نفسي: لأصبرْ قليلاً ولا أستعجلْ سؤالَهُ عما ينتشرُ منْ أخبارٍ عنهمْ يشيبُ لها الولدانُ، فالحكمةُ تقتضي البحثَ عنْ وقتٍ مناسبٍ لهذا الحديثِ.

تبادلْنا الحديثَ عنْ أحوالِ المسلمينَ في العالمِ، فأخبرَني أنهُ على صلةٍ بالشيخِ (أبي بصيرٍ الوحيشيِّ) أميرِ القاعدةِ في اليمنِ، وكذلكَ أبي مصعبٍ عبدِ الودودِ (أميرِ القاعدةِ في المغربِ الإسلاميِّ)، وأنهُ يحبُّ الشيخَ (البغداديَّ) و(العدنانيَّ)، وأنه يحبُّ أنْ يغيظَ

الكافرينَ في الأرضِ كلِّها لينالَ عزةَ الدينِ. حدَّثَني عنْ القبرِ والموتِ وحفظِهِ للقرآنِ ليكونَ أنيسَهُ هناكَ، وما زالَ يعظُني حتى بكى وأبكاني، وما خرجتُ منْ عندِهِ إلا وأنا في قمةِ الدهشةِ! هذا الذي يراهُ الناسُ وحشًا يبيدُ خضراءَ كلِّ مكانٍ دخلَهُ ويرتفعُ سقفُ ثمنِهِ إلى ملايينِ الدولاراتِ كثاني مطلوبٍ عالميًا بعدَ البغداديِّ، يبكي خشيةَ عذابِ اللهِ وخوفَهُ منْ سوءِ الخاتمةِ! إذنْ منْ أينَ كانتْ فتاويهِ التي أثارتْ جدلاً واسعًا عندَ مشايخ الجهادِ قبلَ القاعدينَ وعوامِّ المسلمينَ؟!

بالتأكيدِ للحوارِ بقيةٌ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ.

حرق الأسواق

عندما قُتِلَ الشيخُ أبو يوسفَ -رحمهُ اللهُ- مؤسسُ جماعةِ أهلِ السنةِ للدعوةِ والجهادِ، وتفرَّقَ طلابُهُ ومحبوهُ في البلادِ، واشتدَّتْ يدُ الطاغوتِ تقتلُ وتأسرُ، كانَ القدرُ الذي

أرادَهُ اللهُ أنْ يكونَ، فكانَ ما فعلَهُ الطاغوتُ سبباً في اشتعالِ أرضِ غربِ أفريقيا كلِّها يومًا منْ الأيامِ تحتَ أقدامِهِ النجسةِ.

كانَ العامُ 2009 م هوَ عامَ نشأةِ الجماعةِ الجهاديةِ الحقيقيةِ، حينَ اختلطتْ دماءُ الموحدينَ بترابِ أرضِ البرنُو، وحينَ تحوَّلَ دمُ الشيخِ محمدِ يوسفَ -رحمَهُ اللهُ- إلَى نورٍ يهدِي أتباعَهُ إلَى سبيلِ العزةِ والتمكينِ، ونارٍ تحرقُ أعداءَ الدينِ.

كانتْ مدينةُ مايدوغُرِي ساحةَ الصراعِ الأولِ، ومنْ أحيائِهَا تحركتْ شرارةُ العملِ الأولى.

اجتمعَ الشيخُ أبو بكرٍ الشكويُّ ومعهُ قليلٌ منْ طلابِ الشيخِ الشهيدِ -نحسبُهُ- أبو يوسفَ، وكانَ منْ بينهمْ شابٌّ تابَ اللهُ عليهِ منْ قطعِ الطريقِ وصارَ موحدًا يطلبُ العلمَ، فقالَ للشكويِّ: (ألا أدلُّكَ على مكانٍ لا يستطيعُ الطاغوتُ بلوغَهُ وأذيتَنا فيهِ بحولِ اللهِ؟)

فكانتْ غابةُ سمبيسا قلعةَ التوحيدِ وأرضَ التأسيسِ، ذهبَ إليها الشكويُّ ومَنْ معهُ، وبدأتْ رحلةُ استقطابِ الموحدينَ إليها بسريةٍ تامةٍ.

صارَ الشيخُ أبو بكرٍ الشكويُّ جامعَ شتاتِ الموحدينَ منْ جديدٍ، ولمْ تنقطعْ عملياتُ النكايةِ في مختلفِ المدنِ، وكلَّما سَمِعَ الشكويُّ بأخٍ مجاهدٍ أرسلَ إليهِ مَنْ يضمُّهُ إليهِ، حتى اجتمعَ لديهِ آلافُ الموحدينَ، وكانتْ فترةُ الانكفاءِ والتدريبِ والعلمِ الشرعيِّ التي تجاوزتِ العامَ دونَ أيِّ تحركاتٍ لهمْ. في هذهِ المدةِ عكفَ الإمامُ -وهوَ اللقبُ الذي يلقبُهُ الجميعُ بهِ- عكفَ على مؤلفاتِ الشيخينِ (ابنِ تيميةَ وابنِ القيمِ رحمهما اللهُ) والأئمةِ النجديينَ، وخرجَ منْ ذلكَ بتوجيهاتٍ يقومُ بتدريسِها لطلابِهِ وجنودِهِ والقادةِ، فصارتْ منهجَ الجماعةِ الجديدَ.



هذا ما سمعتهُ مباشرةً منْ الإمامِ والقادةِ عندما سألتُهمْ عنْ نشأةِ الجبهةِ بعدَ مقتلِ الشيخِ الشهيدِ أبي يوسفَ -رحمهُ اللهُ- وهمْ أصحابُ هذهِ التجربةِ.

كانتْ أولُ مسألةٍ واجهتُها هيَ حرقُ المدنِ والأسواقِ، فهيَ أمرٌ يشاهدُهُ كلُّ قادمٍ جديدٍ مثلي، فسألتُ أميرَ الجيشِ (وكانَ حافظًا لكتابِ اللهِ، ذا صوتٍ يسلبُ الألبابَ، لا يختلفُ اثنانِ في دهائِهِ وشجاعتهِ): لماذا تحرقونَ الأسواقَ؟ فأخبرَني أنها توجيهاتُ الإمامِ، وهوَ يفعلُها طاعةً للهِ بطاعةِ الأميرِ، وإنْ كانَ يرى خلافَ ذلكَ، وقالَ لي: يمكنكَ إنْ كانَ لكَ رأيٌ أنْ تناقشَهُ بالحجةِ وتخبرَني قبلَ ذلكَ برأيكَ. أخبرتُهُ أنَّ حرقَ الأسواقِ فيهِ

مفسدةٌ عظيمةٌ بضياعِ الأموالِ، وأنَّ إتلافَ أموالِ المسلمينَ لا يجوزُ إلا بحقٍّ، وأنَّ هناكَ ما يُستفادُ منهُ في المالِ العامِ لتستطيعَ إقامةَ دنيا الناسِ فيعلموا أنَّ الدينَ لا يمنعُ الدنيا.

كانَ حوارُنا مثمرًا، فشجَّعَني للقاءِ الإمامِ مرةً ثانيةً وطرحِ المسألةِ عليهِ.

بعدَ صلاةِ الظهرِ في يومٍ هادئٍ، جلستُ أستمعُ إلى درسِ الشيخِ محمدِ نورٍ (منْ طلابِ الشيخِ المؤسسِ أبي يوسفَ) ينطقُ بالعربيةِ كما ينطقُ بالبرنو والهوسا بطلاقةِ لسانِ العالِمِ المقتدرِ، شدَّني كلامُهُ وهوَ يتكلمُ عنْ القلوبِ مرةً بالبرنو ومرةً بالعربيةِ، فعلمتُ أنهُ يعلمُ منْ هذا الغريبِ. صافحَني وأخذَ بيدي إلى منزلِهِ، كانَ مليئًا بالكتبِ وطلابِ العلمِ فتعجبتُ منهُ، وبعدَ الترحيبِ سألتهُ: "يا شيخُ، كيفَ يكونُ مثلكَ موجودًا ولا نسمعُ لكمْ صوتًا في الإعلامِ؟" فأخذَ يقصُّ عليَّ عجبًا منْ قصتهِ.

تحركتُ بعدَ صلاةِ الفجرِ أشقُّ طريقي في الغابةِ نحوِ إقامةِ الإمامِ هذهِ المرةَ معي الحرسُ فقطْ، فاللقاءُ سيكونُ طويلًا، وأميرُ الجيشِ مشغولٌ. وجدتُ الجميعَ يعلمُ بقدومي والترحيبَ في كلِّ بوابةٍ حتى قدمتُ بينَ يديِ الإمامِ في نفسِ الخيمةِ، وسمعتُهُ مرحبًا يقولُ: مرحبًا يا أبا أيوبَ.

رحلة التغيير بدأت

كانتْ وصيةُ أميرِ الجيشِ لي قبلَ ذهابي للقاءِ الإمامِ، ألا أطيلَ الحديثَ فوقَ عشرِ دقائقَ، كنتُ لا أفهمُ لماذا!

"تفضلْ يا أبا أيوبَ" هكذا عانقَني والابتسامةُ على وجهِهِ، ودعاني للجلوسِ على وسادةٍ بسيطةٍ، كلُّ شيءٍ هنا بسيطٌ رغمَ امتلاكِهِ كلَّ شيءٍ. قلتُ لهُ مبادرًا: هلْ تسمحُ لي يا

إمامُ أنْ أحكيَ لكَ بعضَ القصصِ التي نفعني اللهُ بها؟ قالَ لي: قلْ، فأنا أحبُّكَ في اللهِ

وأحبُّ أنْ تأتيني كلَّ يومٍ، سأخبرُ أميرَ الجيشِ أنْ يسمحوا لكَ بالحضورِ إليَّ بدونِ قيودٍ،

فأنا أحبُّ أنْ أسمعَ أخبارَ إخوانِنا في العراقِ وأخبارَ المجاهدينَ في كلِّ مكانٍ.

تقصدتُ أنْ أحكيَ لهُ كيفَ كانَ الجهادُ في الصومالِ وكيفَ فعلوا حينَ حكموا المدنَ،

ثمَّ أخبرتُهُ بالعراقِ والشامِ، وهكذا أسوقُ لهُ القصصَ وهوَ يتهللُ وجهُهُ سعادةً بالفتوحاتِ

وقهرِ الكافرينَ، حتى بلغتُ مرادي ومدخلي في الحديثِ فقلتُ لهُ: (لكنني يا إمامُ

وجدتُكُمْ لا تفعلونَ مثلَهمْ منْ إصلاحِ البلداتِ والمدنِ ودعوةِ الناسِ للعيشِ في حكمِ

الشريعةِ، بلْ تحرقونَ الأسواقَ ولا يبقى في البلدِ سوى إخوةِ الجهادِ، وسألتُ عنْ ذلكَ

قالوا لي: هذهِ توجيهاتُكُمْ حفظكَ اللهُ)، صمتَ قليلاً وقالَ لي: هلْ تريدُ لهمْ الدنيا؟ قلتُ:

لا، ليسَ مقصدي.

قالَ لي: (إذا فتحَ اللهُ لنا دارًا فعمَّرْناها طمعَ الطاغوتُ أنْ يستردَّها، ولكنْ إنْ حرَّقْناها فَقَدَ دافعَهُ وتركَنا دونَ أنْ نحتاجَ لحراستِها فنمضي لغيرِها)، تعجبتُ لحظةً منْ هذا الردِّ ولكنَّ اللهَ ألهمني ردًّا يزيلُ عنه_ هذا التفكيرَ فعالجتُهُ بهِ: (يا إمامُ، أرأيتَ هذا كانَ منْ رسولِ اللهِ -صلى اللهُ عليهِ وسلمَ- عندَ فتحِهِ مدينةً أوْ بلدةً؟ بلْ كانَ عكسَ ذلكَ، فعاشَ الناسُ في حكمِ الإسلامِ، وهاجرَ مَنْ كانَ مستضعفًا إلى دارِ الهجرةِ يحيا حياةً طيبةً، وأنتَ تدعو أهلَ نيجيريا لنبذِ الطاغوتِ والانتخاباتِ فأينَ يذهبونَ؟ لنُدافعْ عنْ كلِّ بلدةٍ حرَّرَها المجاهدونَ ويعشْ فيها المسلمُ يتاجرُ ويزرعُ وينامُ آمنًا، هكذا سنةُ النبيِّ -صلى اللهُ عليهِ وسلمَ- وأهلِ الجهادِ جميعًا، ولكَ فيمنْ تحبُّهمْ في أرضِ دولةِ الإسلامِ أسوةٌ)، فواللهِ ما كانَ إلا أنْ شرحَ اللهُ صدرَهُ فقالَ: هذا لكمْ، وسأخبرُ أميرَ الجيشِ بذلكَ.

كدتُ أعانقُهُ فرحًا لكنْ تذكرتُ أنَّ لكلِّ قومٍ عاداتٍ ولهُ هيبةً، فاكتفيتُ بالدعاءِ لهُ وشكرِهِ لصبرِهِ عليَّ.

خرجتُ وقابلتُ أميرَ الجيشِ خارجَ الخيمةِ، فقدْ جاءَ وهوَ قلقٌ وقالَ لي: جلستَ كثيرًا، أخبرتُهُ بما كانَ فتهللَ وجهُهُ وهوَ يشكرُني وقالَ لي: أنا فقطْ كنتُ أخافُ أنْ يغضبَ عليكَ في مناقشتِهِ، فلا أحدَ يستطيعُ جدالَهُ إنْ قالَ لا، وهوَ لا يجيدُ فهمَ العربيةِ كثيرًا، لذلكَ قلتُ لكَ لا تزدْ عنْ عشرِ دقائقَ فيكثرَ عليهِ الكلامُ ويأتيَ بأمرٍ لا نحبُّهُ. بعدَ أنْ خرجتُ منْ عندِ الإمامِ وقابلتُ أميرَ الجيشِ، أرسلَ لي الإمامُ مرةً أخرى يقولُ: غدًا آتِ إليهِ. طلبتُ منْ أميرِ الجيشِ أنْ يسمحَ لي بزيارةِ بعضِ الثغورِ والجلوسِ معَ أهلِ الحسبةِ، لعلَّ اللهَ يفتحُ لنا أبوابًا مغلقةً، فإني أرى أمورًا عظيمةً تحتاجُ للتفاكرِ قبلَ أنْ يمضيَ الإخوةُ إلى فتحِ ديارٍ جديدةٍ.

صيحة قمبارو

بدأتْ زيارتي إلى الثغرِ الجنوبيِّ لمناطقِ الإخوةِ وكانَ في بلدةِ بازا، مررتُ في طريقي ببلداتٍ قمةٍ في الجمالِ بناءً على الطرازِ الإنجليزيِّ وسطَ أشجارٍ غزيرةٍ ووديانٍ وسلسلةِ جبالٍ تمتدُّ على الحدودِ الشرقيةِ مخيفةٍ في الارتفاعِ، لكنَّها حصنٌ حصينٌ منْ أيِّ محاولةِ عبورٍ تجاهَ الأراضي التي يحكمُها المجاهدونَ.. كنتُ أسألُ: ما اسمُ هذهِ البلدةِ؟ فيذكرونَ لي اسمًا ويقولونَ لي: لكنَّها الآنَ غيرْناها بكذا، فجعلوا لكلِّ مدينةٍ وبلدةٍ اسمًا إما عربيًا وإما إسلاميًا.

عندما بلغْنا بازا التقيتُ بالقائدِ هناكَ، وجدتهُ لا يعرفُ اللغةَ العربيةَ ولكنهُ يجيدُ الإنجليزيةَ، تعرفتُ على وجودِ آخرِ دفاعاتِ الطواغيتِ وكيفيةِ وضعِ دفاعاتِنا وتبادلْنا الخبراتِ، ومنْ هذا الثغْرِ علمتُ أنهُ يستحيلُ على الجيشِ أنْ يتقدمَ نحوَنا منْ هذا الطريقِ؛

فقدْ كانتْ معركةُ التحريرِ فجيعةً للجيشِ الحكوميّ حينَ تركَ خلفَهُ أكثرَ منْ عشرِ دباباتٍ

وانسحبَ عشراتِ الكيلومتراتِ جنوبًا.. تجولتُ في البلدةِ كانتْ جميلةً وكلُّ شيءٍ في مكانِهِ

كما تركَهُ أهلُ المدينةِ حتى السوقُ، لمْ يأخذْ الإخوةُ منهُ سوى الطعامِ.. حتى ثمارُ الأشجارِ

كانتْ إما ساقطةً على الأرضِ أوْ في أغصانِ الشجرِ كأنَّ أحدًا لا ينظرُ إليها.. تساءلتُ:

أينَ السكانُ؟ كلُّ مَنْ هنا جنودٌ، فقلتُ: لعلَّها ثغرٌ ولا بدَّ أنهمْ فرَّغوها منْ أهلِها.

عندما عدتُ مررتُ ببلدةٍ أخرى فقالوا لي: إنها مسقطُ رأسِ قائدِ الجيشِ الحكوميّ وأنهُ

أعلنَ عنْ مكافأةٍ للقائدِ الذي يستردُّها منْ الإخوةِ.. أهلُها منْ النصارى؛ لذلكَ ما زالتِ

الخنازيرُ تتجولُ في أوديتِها وعندَ الجبلِ.. سألتُ مرافقي: لماذا لا تحصدونَ الزرعَ؟ دائمًا

نمرُّ على محاصيلَ مهجورةٍ، قالَ لي: لا نحتاجُها، سبحانَ اللهِ! لا يحتاجونَهُ، إذنْ لماذا لا

يبيعونَهُ للمناطقِ المجاورةِ؟ عدتُ إلى العاصمةِ وفي رأسي كثيرٌ منْ الأسئلةِ وأشعرُ أنَّ الوضعَ

هذا يمكنُ أنْ يكونَ أفضلَ بكثيرٍ مما هوَ عليهِ، ولكنْ لوْ قبلوا النصيحةَ.

بعدَ صلاةِ العصرِ ذهبتُ أبحثُ عنه_، قالوا لي: هوَ أشدُّ الإخوةِ جرأةً ورأسٌ في طلبِ

التغييرِ، إنهُ ابنُ الشيخِ الشهيدِ -نحسبُهُ والله حسيبه - أبو يوسفَ، ابنُهُ الذي لمْ يتجاوزْ عمرُهُ

العشرينَ أبو رميساءَ.

عندما رأيتُهُ ما ظننتهُ هوَ.. حتى تحدثْنا، فواللهِ ما ازددتُ إلا حبًّا لأبي يوسفَ الذي

أنجبَ ليثًا فصيحًا لا تعجزُهُ عبارةٌ. طرحتُ عليهِ تساؤلاتي كلَّها وما رأيتُ، وقلتُ لهُ:

عندما دخلتُ قمبارو وجدتُ كلَّ شيءٍ تركَهُ الناسُ حتى أواني الطعامِ ما زالتْ في مكانِها

لمْ يمسَّها أحدٌ، وأحدُ الخياطينَ وجدتُ القطعةَ التي يخيطُها على الماكينةِ والخيطَ داخلَ

الإبرةِ كأنهمْ قدْ جاءتْهمُ الصيحةُ فجأةً، فما هذا؟

قالَ لي: سأحكي لكَ ما نحنُ فيهِ وما فيهِ الإمامُ حتى تكونَ على حذرٍ، فأنتَ لا تدري أنكَ تخاطرُ برقبتِكَ!

كانَ ردًّا مثيرًا للدهشةِ بالنسبةِ لي فقلتُ لهُ: اشرحْ لي أكثرَ، فقالَ لي: التغييرُ هنا ممنوعٌ، فكلُّ ما يقولُهُ الإمامُ لا يجرؤُ أحدٌ على مخالفتِهِ، لأنهُ عندَ الإمامِ خروجٌ عليهِ، فيمكنُ أنْ تفقدَ رقبتَكَ، قالَها وضحكَ بوجهِهِ الصغيرِ حتى وجدتُني أضحكُ مثلَهُ.. قلتُ لهُ: لا تخفْ فقدْ تراجعَ الإمامُ بالأمسِ عنْ مسألةِ حرقِ المدنِ وكانَ بشوشًا معي، ازدادَ ضحكُهُ وقالَ لي: لا تستعجلْ ولا تكثرْ النقدَ، هذهِ نصيحتي.

رجعتُ إلى البيتِ والهمُّ في رأسي: هلْ هذا الفتى حقًّا ينصحُني أمْ أنهُ يخشى التغييرَ



القائد الحقيقي

كانَ هناكَ سؤالٌ في رأسي منذُ أولِ يومٍ دخلتُ فيهِ العاصمةَ الفتحَ المبينِ: مَنْ هوَ قائدُ هذهِ الانتصاراتِ؟ هلْ يا تُرى هوَ أميرُ الجيشِ الذي أقفُ بينَ يديهِ القائدُ "عليو"، أمْ الإمامُ، أمْ رجلٌ لمْ أرهُ بعدُ؟ تركتُ هذا السؤالَ حتى جاءتِ اللحظةُ التي حذرَني فيها أبو رميساءَ منْ النقدِ وكثرةِ النقاشِ معَ الإمامِ وما يمكنُ أنْ يصيبَني، فقررتُ أنْ أعرفَ إجاباتِ كلِّ تساؤلاتي قبلَ أيِّ خطوةٍ جديدةٍ. إستأذنتُ للدخولِ على قائدِ الجيشِ عليو، أخبرَني حرسُهُ أنْ أنتظرَ قليلاً لأنهُ مشغولٌ ولكنهُ سيأتي. جلستُ معَ نفسي أحدثُها عنْ

ضرورةِ تعلمِ لغةِ الهوسا لأعيشَ بينَ هؤلاءِ الإخوةِ، فأنا لا أستطيعُ التحدثَ معَ الجميعِ لأفهمَ الأحداثَ، بلْ أحتاجُ دائماً أنْ يكونَ بقربي مَنْ يتحدثُ العربيةَ أوْ الإنجليزيةَ، وهذا أمرٌ أفقدُ معه_ كثيرًا منْ الخيرِ وأهمَّ شيءٍ وهوَ المشاركةُ في المعاركِ، فكيفَ سأفهمُ أوامرَ الأمراءِ أثناءَ سيرِ المعركةِ والتوجيهاتِ؟!

خرجَ عليَّ القائدُ وهوَ يبتسمُ: "أبو أيوبَ" مرحبًا مرحبًا. جلسْنا نتجاذبُ أطرافَ الحديثِ ولمْ أستطعِ الصبرَ فقلتُ لهُ: (كيفَ فتحتَ هذهِ المناطقَ في سنةٍ واحدةٍ؟) قلتُها كأني أعلمُ أنهُ قائدُ الفتحِ، ولكنْ كانَ ردُّهُ قصةً غريبةً، فهيَ القصةُ التي يجبُ أنْ تموتَ ولا يعلمَ بها الجنودُ، قصةُ البطلِ الأميرِ القائدِ (مصطفى شادِ ونائبِهِ عليٍ كاكا) رحمهما اللهُ، الذي خاضَ حربَ الفتوحاتِ بدهاءٍ وبسالةِ الموحدِ الذي لا يعرفُ المستحيلَ.

مضى القائدُ عليُّو يحكي تفاصيلَ كلِّ شيءٍ منذُ معاركِ الفتحِ حولَ الغابةِ، يومَ لمْ يكنْ لهمْ سوى سمبيسا يختبئونَ فيها حتى بلغتِ الفتوحاتُ مدينةَ موبي الحدوديةَ على جبالِ الشرقِ، وطاردَ أميرُ الجيشِ -رحمهُ اللهُ- الطواغيتَ حتى أوشكَ أنْ يصلَ إلى عاصمةِ بورنو مايدوغري.. هكذا سمعتُ سيرةَ هذا الأسدِ وتمنيتُ رؤيَتَهُ، قلتُ: وماذا حدثَ وكيفَ استشهدَ هذا الأميرُ؟ فكانتِ الصدمةُ.. "قتلَهُ الإمامُ".. نعمْ، كما سمعتَ قتلَهُ الإمامُ هوَ ونائبُهُ.

كانَ سببُ قتلِهِ أنهُ وزعَ جزءًا منْ الغنائمِ بدونِ إذنِ الإمامِ، فحكَمَ عليهِ بأنهُ افتاتَ على الإمامِ وبذلكَ يشقُّ الصفَّ، وحكمُ اللهِ فيهِ القتلُ، والدليلُ حديثُ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ: (مَنْ أتاكُمْ وأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ علَى رَجُلٍ واحِدٍ، يُرِيدُ أنْ يَشُقَّ عَصاكُمْ، أوْ يُفَرِّقَ جَماعَتَكُمْ، فاقْتُلُوهُ). هكذا أخبرَ الإمامُ المقربينَ منهُ ومنهمُ القائدُ "عليو"، وأشاعوا بينَ

الجنودِ أنهُ استشهدَ في مهمةٍ هوَ ونائبُهُ لكيْ لا يتأثرَ الجيشُ، فقدْ كانا القائدينِ الحقيقيينِ لكلِّ الفتوحاتِ ويحبُّهما الجنودُ، وكانَ مصطفى شادِ مَنْ طالبَ الإمامَ بالبيعةِ والانضمامِ لدولةِ الإسلامِ بقيادةِ الشيخِ (أبي بكرٍ البغداديِّ).. ونشرَ حبَّ ذلكَ بينَ جنودِهِ.

سمعتُ هذا كلَّهُ منْ أميرِ الجيشِ "عليو" والدهشةُ والحزنُ يختلطانِ داخلي، وسؤالٌ حائرٌ:

كيفَ سيكونُ مصيري إنْ واصلتُ التغييرَ؟!

جبل الثلج

خرجتُ وحدي بالدراجةِ الناريةِ أقودُها نحوِ الغابةِ وتجولُ بخاطري كلُّ الهمومِ ...

كيفَ سأقولُ للإمامِ أني أريدُ التحدثَ عنْ حكمِ هؤلاءِ الذينَ يخرجونَ منْ أرضِ الدولةِ الجديدةِ التي يحكمُها إلى أرضِ الطاغوتِ؟ هلْ أنا كنتُ مرتدًّا قبلَ الهجرةِ؟! سألتُ اللهَ أنْ يلهمني الحجةَ ويهديَ قلبَهُ.. بلغتُ الغابةَ والبوابةَ الأولى وحدي، أوقفَني الحرسُ وتكلمَ

معي أحدُهمْ أنَّ السماحَ لي يحتاجُ إذنًا منْ قائدِ الجيشِ لأني وحدي.. ذهبَ أحدُهمْ وعادَ ومعه_ إذنُ دخولي.. مضيتُ وقلتُ: هذهِ أمارةُ تيسيرٍ، لذلكَ عزمتُ أنْ أمضيَ في حواري معَ الإمامِ وليكنْ ما يكونُ.

استقبلَني أحدُ المرافقينَ للإمامِ ببشاشتِهِ المعتادةِ وقالَ لي: سأخبرُ الإمامَ بقدومِكَ فليسَ عنده_ خبرُكَ، عادَ بعدَ وقتٍ طويلٍ وأخبرَني أنهُ أمرَ بضيافتي حتى يتفرغَ لي. مضى اليومُ وأخبروني أنْ أنامَ في الخيمةِ، فالإمامُ أرسلَ أنهُ سيقابلُني غدًا صباحًا.

في تلكَ الليلةِ رأيتُ منامًا عجيبًا وقصيرًا، رأيتُ أني أصنعُ منْ الثلجِ جبلاً وكانَ الأمرُ سهلاً يسيرًا، والجبلُ ضخمًا كبيرًا وأنا في المنامِ سعيدٌ، استيقظتُ ووقعَ في نفسي أنَّ عملاً عظيمًا سيكونُ ميسرًا عليَّ، وما رأيتُ إلا أنَّ الإمامَ سيتجاوبُ معي.

بعدَ الفجرِ يجلسُ الإمامُ لتدريسِ القرآنِ مجلسًا يحضرُهُ الرجالُ والنساءُ وأهلُ بيتِهِ.. لا يتخلفُ عنه_ إلا لمرضٍ (هكذا حدثَني عنه_ مرةً). بعدَ الدرسِ جاءَني بترحيبِهِ المعتادِ وهوَ يقولُ لي: "أبا أيوبَ، نحبُّكَ في اللهِ لا تغبْ عنا كثيرًا".. ففرحتُ وقلتُ: اليومَ يفتحُ اللهُ فتحًا.. فجلسْنا نتحدثُ حتى بدأتُ بسؤالِهِ كأني لا أقصدُ بلْ أتعلمُ، فقلتُ: (يا إمامُ، قالَ بعضُهمْ إنَّ مَنْ عاشَ في أرضِ الطاغوتِ مرتدٌّ لعدمِ هجرتِهِ، ورغمَ أنَّ بعضَهمْ ربما لهُ سببٌ، فهلْ تقولُ بذلكَ؟).. قالَ لي: (لا، لا أقولُ بهِ.. كيفَ يكفرُ وقدْ قالَ اللهُ سبحانهُ وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذينَ آمَنوا وَهاجَروا وَجاهَدوا بِأَموالِهِم وَأَنفُسِهِم في سَبيلِ اللَّهِ وَالَّذينَ آوَوا وَنَصَروا أُولِئِكَ بَعضُهُم أَولِياءُ بَعضٍ وَالَّذينَ آمَنوا وَلَم يُهاجِروا ما لَكُم مِن وَلايَتِهِم مِن شَيءٍ حَتّى يُهاجِروا وَإِنِ استَنصَروكُم فِي الدّينِ فَعَلَيكُمُ النَّصرُ إِلّا عَلى قَومٍ بَينَكُم وَبَينَهُم ميثاقٌ وَاللَّهُ بِما تَعمَلونَ بَصيرٌ﴾؟).

تعجبتُ وأصابتني الدهشةُ فأسرعتُ بالقولِ: "يا إمامُ، فهناكُ مَنْ ينسبُ القولَ بذلكَ إليكَ، فهلا أخبرتَ الناسَ أنَّ هذا ليسَ قولَكَ وأصدرتَ فتوى؛ فإنَّ الأمرَ خطيرٌ..

وسمعتُ أنَّ جنودًا طلّقوا امرأةً منْ زوجِها لأنهُ خرجَ إلى مايدوغري للتجارةِ، فأخبروها أنهُ لا يحلُّ لها بعدَ ذلكَ وطلّقوها منه_ وزوّجوها غيرَهُ"، فقالَ لي: ما قلتُ ذلكَ، وقالَ إنهُ سيصدرُ فتوى يوضحُ فيها الأمرَ.

أصابتني شجاعةٌ لمواصلةِ الحديثِ عنْ أمرِ الأوراقِ الثبوتيةِ، فقلتُ لهُ: ما خبرُ هذهِ الأوراقِ التي يسافرُ لها الناسُ؟ قاطعَني قبلَ أنْ أكملَ حديثي غاضبًا: (أعلمتَ يا أبا أيوبَ أنَّ البريطانيينَ وضعوا في صورةِ هذهِ الجوازاتِ شيئًا مهينًا للمسلمينَ؟) قلتُ: لا، لمْ أرَ جوازاتِ نيجيريا.. فأخذَ يصفُ لي غلافَ الجوازِ وشعارَهُ فقالَ: (وضعوا صورةً لجوادينِ يحاولانِ أنْ يصلا إلى طائرٍ في الهواءِ ولا يدركانِ ذلكَ، الطائرُ يقصدونَ بهِ أنفسَهمْ،

والجوادانِ هما رمزُ الفتوحاتِ الإسلاميةِ.. فنحنُ لنْ نبلغَ مقامَهمْ ولا أذاهمْ، هذا وصفُهمْ فنحنُ لا نقرُّ لهمْ بقبولِ ذلكَ.. ولا نؤمنُ بالوطنيةِ لنيجيريا، والحصولُ على الجوازِ إقرارٌ منْ صاحبِهِ بالوطنيةِ)..

هكذا يتحدثُ غاضبًا وأنا أسمعُ، فقلتُ لهُ: يا إمامُ، صبرًا عليَّ، فلوْ سمحتَ لي أنْ أرسلَ لعلماءِ الجهادِ يفتونَنا ويشاركونَكَ النقاشَ.. قالَ لي: إلا أنْ يأتوني هنا.. غيرَ ذلكَ لا تخبرْني عنْ الأمرِ مرةً أخرى.

صمتُّ قليلاً، وقلتُ لهُ: دعْنا منْ ذلكَ الآنَ وأخبرْني عنْ كذا وكذا... وقصدتُ تخفيفَ غضبِهِ حتى لا أفقدَ رغبتَهُ في زياراتي. عدتُ أحملُ بشارتي لأميرِ الجيشِ، فالآنَ يستطيعُ إخراجَ الخبرِ عنْ الإمامِ دونَ نزاعٍ، وكانَ يومًا بدأَ فيهِ حقنُ دماءٍ وحفظُ أعراضٍ..

رغمَ تعجبي: إذنْ منْ أينَ جاءتْ تلكَ الفتوى سابقاً، أمْ أنَّ الإمامَ تراجعَ عنها دونَ أنْ يخبرَهمْ؟

الانسحاب ومشكلة اللغة

جاءَ الخبرُ بمحاولةِ الطواغيتِ التقدمَ منْ ثغرِ بازا، وبدأتْ طائرةُ الاستطلاعِ تقومُ بجولاتِها كلَّ يومٍ فوقَ المدينةِ لرصدِ تحركاتِ الإخوةِ والتجمعاتِ. ذهبتُ معَ أحدِ القادةِ إلى بازا صباحًا، وقمتُ برصدِ أماكنِ تواجدِ الجيشِ النيجيريِّ عبرَ مسيرةٍ استطلاعيةٍ.

لمْ يكنِ الجيشُ مدركًا حجمَ التغيراتِ العسكريةِ عندَ الإخوةِ؛ فاستخدامُ التقنياتِ والتكنولوجيا كانَ ممنوعًا عندهمْ -وأقصدُ بذلكَ وسائلَ الاتصالِ اللاسلكيِّ والمسيراتِ- والتعاملُ معَ شبكةِ الإنترنتِ كانَ محدودًا، لذلكَ فإنَّ استخدامَ مسيرةٍ للاستطلاعِ وتصويرِ منطقةِ العدوِّ لمْ يتوقعْهُ الجيشُ النيجيريُّ، وحتى للإخوةِ كانَ حدثًا رائعًا بالنسبةِ لهمْ،

وكانَ هذا ثمرةَ جهدٍ كبيرٍ جدًّا استطعتُ ومعي بعضُ الإخوةِ المهاجرينَ منْ السنغالِ تغييرَ بعضِ المفاهيمِ، فبدأَ استخدامُ الأجهزةِ اللاسلكيةِ لربطِ المواقعِ ببعضِها.

عندما رصدْنا العدوَّ في بازا، طلبَ مني القائدُ وضعَ الدبابةِ في مكانٍ مناسبٍ حسبَ ما يتطلبُهُ الموقفُ منْ صدٍّ للعدوانِ، عندما صعدتُ فوقَ الدبابةِ ودخلتُ غرفةَ القيادةِ كانتْ أولَ مرةٍ لي أفعلُ ذلكَ، وقلتُ: ربما أجدُ ما أقرأُهُ بداخلِها فأفهمُ كيفيةَ عملِها. جلستُ بقربِ المسؤولِ عنها وأخذَ يشرحُ لي آليةَ عملِها حتى بلغَ نقطةً معينةً فقالَ لي: هذا الزرُّ لا أعلمُ ما هوَ! وهذهِ الشاشةُ تعطي إشارةً لا أفهمُها! قلتُ لهُ: وأنا كذلكَ، ولكنْ سنستعينُ بصديقٍ إنْ شاءَ اللهُ، وما دامتْ هذهِ الأمورُ لا توقفُ عملَ الدبابةِ وكفاءةَ القذائفِ فيما يبدو لنا، فلنضعْها تحتَ هذهِ الأشجارِ كما كنتُ أراهمْ يضعونَها في بغدادَ.

أرسلتُ إلى صديقٍ لي كانَ سابقًا في الجيشِ ولهُ خبرةٌ في المدفعيةِ فأخبرَنا بما نحتاجُهُ..

هكذا كنتُ أرى أنَّ الاهتمامَ بدعوةِ المنتسبينَ لهذهِ الجيوشِ العلمانيةِ ربما يخرجُ لنا مَنْ بيدهِ يفتحُ اللهُ الأمصارَ.

عندما عدتُ إلى الفتحِ المبينِ، سألتُ أميرَ الجيشِ عنْ سلاحِ المدفعيةِ ومَنْ هوَ المسؤولُ عنْ التدريبِ في الدباباتِ وكيفَ تعلمَ الإخوةُ قيادتَها؟ قالَ لي: سنأخذُكَ في رحلةٍ قصيرةٍ إلى مدينةِ مدينَ -وهيَ باما سابقًا- فهيَ المكانُ الذي حصلْنا فيهِ على أولِ دبابةٍ وأسرْنا مَنْ كانَ فيها، وجعلناهُ يدربُ الإخوةَ مقابلَ حياتِهِ ففعلَ ذلكَ، ولكنْ قبلَ أنْ نجدَهُ كنا قدْ غنمْنا عشرينَ دبابةً في معركةٍ كبيرةٍ على أبوابِ مدينةِ "باما" نفسِها، ولكنْ لمْ نكنْ نستطيعُ استخدامَ الدباباتِ فأمرَهمُ الأميرُ بحرقِها حتى لا يعودَ الجيشُ فينتفعَ منها، ثمَّ كانَ بعدَ أيامٍ فتحُ المدينةِ وأسرْنا هذا الرجلَ وكانَ يعرفُ كلَّ شيءٍ عنْ

الدباباتِ، والآنَ صارتْ بقايا هذهِ الدباباتِ قطعَ غيارٍ للصيانةِ بعدَ أنْ حصلْنا على عددٍ آخرَ منْ الدباباتِ.

في مساءِ أحدِ الأيامِ جاءَني قائدُ الجيشِ وأأخبرَني أنهمْ يخرجونَ الآنَ بمددٍ إلى "بازا"؛ فالجيشُ النيجيريُّ بدأَ هجومًا بالطيرانِ والمروحياتِ والمشاةِ.. خرجْنا جميعًا منْ المقرِّ وكانَ بينَنا وبينَ بازا مئةُ كيلومترٍ في طريقٍ جيدٍ، كانتْ أولَ معركةٍ منذُ دخلتُ إلى نيجيريا.



لمْ أكنْ أعلمُ أنَّ مهاجرينَ منْ دارفورَ قدْ وصلوا إلى هنا، لكنهمْ لا يجيدونَ الهوسا ولا الفولانيةَ، اشتدتِ المعركةُ والقادةُ يوجهونَ الجنودَ، لمْ أكنْ في المعركةِ ولمْ نصلْ إلى بازا؛ فالإخوةُ قاموا بالانسحابِ إلى البلدةِ التاليةِ وهيَ ميتشجا قبلَ أنْ يصلَ المددُ،

التقيتُ بأحدِ المهاجرينَ صباحًا في ميتشجا فقالَ لي: (لمْ نفهمْ شيئًا، كانوا يصيحونَ بالتعليماتِ بالهوسا فلمْ نعلمْ أنهُ انسحابٌ، ومضيْنا معَ أحدِ الأنصارِ وراءَ الجبلِ فوجدْنا أنَّ الطواغيتَ أمامَنا والإخوةُ التفّوا عليهِمْ، فصرْنا في مرمى نيرانِ الإخوةِ.. كانتْ ليلةً عصيبةً.. الضبابُ والدخانُ لمْ يساعدانِا في الحركةِ، واللغةُ أعجزتْنا أنْ نفهمَ المعركةَ، ولكنَّ اللهَ خففَ علينا). قلتُ لهُ: لا بدَّ لنا جميعًا منْ تعلمِ لغةِ القومِ وإلا ستكونُ مشاركتُنا عبئًا ثقيلاً عليهِمْ وبلاءً علينا.

ذهبتُ لمقابلةِ قائدِ المنطقةِ وسؤالِهِ: لماذا الانسحابُ قبلَ وصولِنا والمعركةُ لمْ تطلْ؟ كانَ يتحدثُ اللغةَ الإنجليزيةَ أفصحَ منْ اللغةِ العربيةِ.. فقالَ لي: للأسفِ لمْ أخبرْكَ أنَّ اقتراحَ وضعِ المضاداتِ على الجبلِ لمْ نفعلْهُ.. وجاءَ الهجومُ منْ تلكَ المنطقةِ للأسفِ، ولذلكَ فقدْنا الدبابةَ وكانَ الأمرُ مباغتًا فآثرْنا الانسحابَ وإعادةَ التموضعِ مرةً أخرى، تناقشْنا مدةً

مِنْ الزمنِ فقالَ لي نائبُهُ: (بصراحةٍ يا شيخُ، ما فهمَ القائدُ كلامَكَ السابقَ واستحى أنْ يقولَ لكَ إنهُ لمْ يفهمْ لغتَكَ، فهوـ لا يجيدُ العربيةَ.. وعندما حدثَ الهجومُ قالَ: لوْ أنَّا فعلْنا كذا وكذا.. فعلمتُ أنهُ يومَها أمضى اقتراحَكَ ولمْ يكنْ يفهمُ ما تريدُ).

فتح باقا والغزو التشادي المدعوم

طرقتُ البابَ مستأذنًا عليهِ في الدخولِ، قالَ: ادخلْ يا أبا أيوبَ. عندما دخلتُ وجدتُ شابًّا في الثلاثينَ منْ عمرِهِ يبدو عليهِ شيءٌ منْ الهمِّ وكأنهما كانا في حوارٍ طويلٍ، أخذَني القائدُ "عليو" وخرجَ بي منْ الغرفةِ، وبعدما جلسْنا سويًّا قلتُ لهُ: يبدو على هذا الشابِّ بعضُ الهمِّ، هلْ أستطيعُ أنْ أقدمَ شيئًا؟ قالَ لي: لا.. هذا القائدُ جاءَ منْ الشمالِ يريدُ أنْ نعطيَهُ إذنَ الهجومِ على مدينةِ "باقا".

قلتُ لهُ: ما هذهِ المدينةُ؟ قالَ: إنها مدينةٌ استراتيجيةٌ تقعُ على بحيرةِ تشادَ، وهيَ المنطقةُ الوحيدةُ التي تقعُ خارجَ سلطتِنا حولَ البحيرةِ.. والطواغيتُ في هذهِ المدينةِ يقطعونَ علينا الطريقَ، وهمْ حريصونَ على أنْ يكونَ الطريقُ بينَ "باقا" و"مايدوغري" بعيدًا عنْ سيطرتِنا. قلتُ لهُ: ولماذا لا تأذنونَ لهُ ما دامَ الأمرُ كذلكَ؟ فأجابَني وهوَ يذهبُ بخيالِهِ بعيدًا وعيناهُ في السماءِ: (المدينةُ هيَ قاعدةٌ لتحالفِ أربعةِ جيوشٍ حولَنا: نيجيريا والكاميرون والنيجر وتشاد.. المعركةُ لنْ تكونَ سهلةً يسيرةً، ولمْ تنجحْ عدةُ محاولاتٍ سابقةٍ).. تغيرتْ لهجتُهُ وكأنهُ يقولُها لي بأملٍ جديدٍ: (لكني أرى في هذا القائدِ عزيمةً وإصرارًا وكأنهُ سيفعلُها بإذنِ اللهِ).

أكملْنا حديثَنا وقضيتُ حاجتي التي جئتُ منْ أجلِها وذهبتُ إلى مكتبِ الإعلامِ. كانَ الأخُ المهاجرُ أبو سليمانَ السودانيُّ قدْ وصلَ إلى أرضِ الجهادِ بفضلِ اللهِ، شابٌّ في

مقتبلِ العمرِ منْ قبيلةِ الفولانيةِ لمْ يتجاوزْ خمسةً وعشرينَ عامًا، لكنهُ خبيرٌ في الإعلامِ ترعرعَ في جزيرةِ محمدٍ -صلى اللهُ عليهِ وسلمَ-.. كانَ قدومُهُ فتحًا وحدَهُ.. تلاقينا في مكتبِ الإعلامِ حيثُ استقبلَهُ أميرُ الإعلامِ بكلِّ تواضعٍ.. واعترفوا لهُ بما عندَهُ منْ علمٍ وأعطوهُ كلَّ الصلاحياتِ، فكانتِ الثورةُ الإعلاميةُ بعدَ ذلكَ عالةً على جهدِهِ، منْ تسميةِ الولايةِ (غرب أفريقيا) إلى كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ في الجودةِ والمحتوى.

ذهبْنا إلى مقرِّنا ودارَ بينَنا حديثٌ ذو شجونٍ عنْ أحلامِنا هنا، وأنْ تكونَ أرضُ التوحيدِ هذهِ ملاذَ الغرباءِ.. أخبرَني أنهُ سيقيمُ دورةً إعلاميةً لكلِّ أعضاءِ مكاتبِ الإعلامِ في الولايةِ، وهوَ متفائلٌ لما رآهُ منْ صدقٍ وحبٍّ للمعرفةِ عندهمْ.

في صبيحةِ أحدِ الأيامِ سمعتُ صوتَ التكبيرِ قربَ البابِ ويعلو صوتُ النشيدِ الشهيرِ لمؤسسةِ أجناد (الحمدُ للهِ) منْ سيارةِ أبي مصعبٍ ومعه_ القائدُ عليو.. أسرعتُ ومعي

آخرونَ لمعرفةِ الخبرِ.. قالَ لي: "اللهُ أكبرُ فعلَها بفضلِ اللهِ" أخذْنا باقا بقوةِ السيفِ وفرَّتْ جنودُ التحالفِ. معركةٌ استمرتْ يومًا واحدًا فقطْ، قادَها هذا الليثُ بجنودٍ لا يتجاوزونَ خمسَمئةِ مقاتلٍ منْ أهلِ التوحيدِ ضدَّ أربعةِ جيوشٍ.



كانَ حدثًا لا ينساهُ طواغيتُ المنطقةِ؛ فقدْ قُتِلَ في المعركةِ أعدادٌ كبيرةٌ بينَ غريقٍ في البحيرةِ وهمْ يهربونَ، وبينَ قتيلٍ بأيدي المجاهدينَ، وكانتْ غنائمُ البحرِ فقطْ ثلاثينَ قاربًا عسكريًا.. وأرسلَ القائدُ الشابُّ الخُمُسَ للوالي في موكبٍ لا يعترضُهُ طاغوتٌ.. وهكذا اكتملتْ خريطةُ السيطرةِ منْ دماساك شمالاً إلى ميتشجا جنوبًا، ومنْ بانكي شرقًا إلى

غابةِ تمبكتو (بوني يادي) غربًا، كلُّ هذهِ المنطقةِ (أربعمئةِ كيلومترٍ طولاً ومئتا كيلومترٍ عرضًا) تحتَ حكمِ الإخوةِ بلا منازعٍ.

وبدأتْ قصةُ السبايا منْ باقا تشعلُ المنطقةَ جدالاً، فقدْ خرجتْ نساءُ إنجمينا في مظاهراتٍ تطالبُ الرئيسَ التشاديَّ بالتدخلِ عسكريًا لإنقاذِ النساءِ -كما يقولونَ- منْ أيدي بوكو حرام.

شيبوك نقطة النهاية والسبايا.

كنتُ في ذلكَ الصباحِ أبحثُ عنْ مكانٍ يُباعُ فيهِ الخبزُ، فقدْ بلغَني أنَّ صاحبَ فرنٍ يصنعُ خبزًا كالذي نأكلُهُ.. فالإخوةُ لا يتناولونَ الخبزَ معَ الطعامِ، بلْ يعتبرونَهُ مثلَ الحلوياتِ معَ الشاي الأخضرِ، ثقافةٌ مختلفةٌ تمامًا عنْ بلادي ولكنْ لمْ تكنْ أمرًا عسيرًا، بينما أنا في أحدِ الطرقِ الرئيسيةِ شاهدتُ منظرًا جميلاً يندرُ مشاهدةُ مثلِهِ في بلادِ الطاغوتِ،

عشراتِ النساءِ كما قالتْ عائشةُ أمُ المؤمنينَ -رضيَ اللهُ عنها-: "خرجَ نساءُ الأنصارِ كأنَّ على رؤوسِهِنَّ الغربانَ منْ الأكسيةِ".. وللثيابِ ذيلٌ طويلٌ يجرُّ خلفَهُ ترابَ الأرضِ، منْ دهشتي سألتُ: أينَ يذهبنَ في هذا الوقتِ؟ فوجدتُهُ درسًا للشيخِ محمدِ نورٍ، أحدِ أشهرِ مشايخ الجهادِ هناكَ. هذا الدرسُ الذي تحضرُهُ حوالي ستمئةِ امرأةٍ بهذا المنظرِ العجيبِ. قررَ أحدُ المهاجرينَ السنغاليينَ أنْ يتزوجَ منْ فتياتِ شيبوكَ اللاتي كنَّ أسرى وأسلمْنَ، هذا الحدثُ كانَ سبباً في بدايةِ نقاشٍ شرعيٍّ بيني وبينَ الشيخِ محمدِ نورٍ ومعه_ أحدُ طلابِهِ.



سألتُ الشيخَ عنْ فتياتِ مدرسةِ شيبوكَ: هلْ كلهُنَّ نصارى أمْ فيهنَّ منْ المسلماتِ؟ قالَ لي: كلهُنَّ مشركاتٌ، بعدَ نقاشٍ عنْ حادثةِ الهجومِ وسبيِ الطالباتِ فهمتُ أنَّ بعضَهُنَّ كنَّ مسلماتٍ ولكنْ بدخولِ هذهِ المدارسِ فقدْ أشركنَ، لذلكَ كلهُنَّ سبايا. بدأَ نقاشُنا عنْ المكفراتِ في هذهِ المدارسِ، وكانَ نقاشًا حادًّا في أولِهِ؛ لأنَّ الشيخَ استعظمَ أنْ أناقشَ أوْ أشكَّ في كفرِ مَنْ يدخلُ المدارسَ، وأنا أقولُ لهُ: الحوارُ منْ شقينِ لا أمرٍ واحدٍ، فهناكَ مسألةُ تأصيلِ الحكمِ في النساءِ الطالباتِ، والشقُ الثاني: قضيةُ السياسةِ الشرعيةِ في الاستهدافِ والسبيِ بمثلِ هؤلاءِ المنتسباتِ للإسلامِ.

استشهدَ لي الشيخُ محمدٌ بكتابِ الشيخِ بكرِ أبو زيدٍ الشهيرِ (المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية تاريخها ومخاطرها)، وسردَ لي ما يوجدُ فيها.. حتى عجزتُ عنْ الردِّ فقلتُ لهُ: نرسلُ إلى مَنْ هوَ أعلمُ وأفقهُ فما رأيُكَ؟ قالَ: إنْ كانَ علماءَ مجاهدينَ فلا بأسَ. لمْ أنمْ تلكَ

الليلةَ فقدْ كنتُ أفكرُ: مَنْ منْ العلماءِ سيوافقُ أنْ يكتبَ لي بحثًا في هذهِ المسألةِ؟ وهلْ سيكونُ بسببِ بحثِهِ تغييرُ ما يقومُ بهِ الإخوةُ منْ غزوِ المدارسِ والجامعاتِ، أمْ سأضطرُ للحديثِ عنْ ضررِهِ منْ ناحيةِ السياسةِ الشرعيةِ والدعوةِ؟

مرتْ عدةُ أيامٍ قبلَ أنْ يجيبَني أحدُ العلماءِ (فتحَ اللهُ عليهِ وكتبَ اللهُ لهُ مقامَ المصلحينَ الصالحينَ)، أخبرتُه أنَّ الأمرَ بالغُ الحساسيةِ؛ فبِهِ تُسبى فتياتٌ لا ندري إنْ كنَّ سبايا أمْ مظلوماتٍ.. عكفَ الشيخُ على البحثِ وأرسلَ إلينا ما وصلَ إليهِ علمُهُ، وخلاصتُهُ أنهُ لا يقولُ بجوازِ هذا السبيِ وإنْ كانَ الدخولُ في هذهِ المدارسِ لا يجوزُ شرعًا، ولكنْ في كفرِهِنَّ بمجردِ الدخولِ شبهاتٌ.. والآنَ لا أذكرُ ما قالَهُ الشيخُ تفصيلاً، لكنْ كانَ سببًا في عزوفِ الكثيرينَ منْ الإخوةِ عنْ اتخاذِ هؤلاءِ الفتياتِ سبايا، ثمَّ جاءَ قرارٌ منْ الدولةِ بمنعِ مهاجمةِ المدارسِ فهيَ ليستْ أهدافًا عسكريةً، معَ دعوةِ الناسِ لهجرِها.

حاولتُ ومعي بعضُ الإخوةِ الذينَ درسنا وتعلمْنا في الجامعاتِ أنْ نقنعَ قائدَ الجيشِ بتبني فكرةِ فتحِ المدارسِ في مناطقِ سيطرتِنا معَ تغييرِ المناهجِ؛ فهناكَ علومٌ نملكُها كانَ لها أثرٌ كبيرٌ في إقامةِ الدولةِ، فقطْ نخرجُ الضلالاتِ منْ المدارسِ وحتى نغيظَ الطواغيتَ ويفهمَ الناسُ أنَّا لسنا ضدَّ التعليمِ مطلقًا، بلْ ضدَّ ما فيهِ منْ كفرياتٍ، رفضَ الجميعُ الفكرةَ.. فتركتُها لعلَّ اللهَ يجعلُ لذلكَ يومًا.

جاءَني أحدُ الحرسِ الشخصيِّ لقائدِ الجيشِ يطلبُ مني الحضورَ عندَ ساحةٍ خاصةٍ ينطلقُ منها الإخوةُ عندَ الغزواتِ، ذهبتُ لمقابلة أميرِ الجيشِ، أدخلَني إلى غرفةٍ بها شابٌّ عشرينيٌّ مقيدٌ بالسلاسلِ.. قلتُ لهُ: ما هذا؟! كانَ جاسوسًا تمَّ اصطيادُهُ يعملُ ضمنَ شبكةٍ فيها نساءٌ، هكذا اعترفَ الشابُّ وقالَ إنَّ منْ ضمنِ النساءِ إحدى السبايا منْ باقا..

طلبتُ منْ الأميرِ أنْ نخرجَ بعيدًا عنهُ وسألتُهُ لاندهاشي: "أخي، هلْ هناكَ نصارى أوْ

مرتداتٌ في باقا؟" فأجابَ باستغرابٍ مني: "السبايا هناكَ هنَّ نساءُ الطواغيتِ الذينَ هربوا، ونساءُ بعضِ الجواسيس، لوْ لمْ تكنْ مثلَهُ ما عاشتْ معه".

كنتُ قبلَ عدةِ أعوامٍ قرأتُ عنْ هذهِ المسألةِ وعلمتُ أنَّ زوجةَ المرتدّ لا تكفرُ بمجردِ أنها زوجتُهُ، بلْ بتعاونِها أوْ مناصرتِها لهُ فيما وقعَ فيهِ منْ ردةٍ.. فقلتُ لهُ ذلكَ، لكنهُ قالَ لي: إلا أنْ أسمعَ ذلكَ منْ علماءِ الدولةِ..!

هكذا كانَ حوارًا في كلِّ يومٍ يشغلُ عقلي، ولكنْ قررتُ أنْ أذهبَ حيثُ الكلمةُ الأولى والأخيرةُ.. حيثُ الفتوى.. سأنطلقُ إلى سمبيسا بعدَ أنْ أحملَ معي زادي منْ أدلةِ المسائلِ كلِّها

تتابع الخيرات مثنى وثلاث ورباع

حاولتُ هذهِ المرةَ أنْ أستخدمَ طريقةً أخرى في تغييرِ هذهِ الفتوى؛ فالأمرُ فيهِ خلافٌ

عندَ البعضِ ، والقطعُ بهِ يحتاجُ لعالمٍ لهُ كلمةٌ مسموعةٌ، وأنا لستُ عالمًا ولكني حاملُ علمٍ لِمَنْ يحتاجُهُ. طلبتُ منْ أحدِ علماءِ المسلمينَ العاملينَ -أحسبهُ كذلكَ- أنْ يسجلَ حكمًا تفصيليًا في المسألةِ، ففعلَ جزاهُ اللهُ خيرًا عنْ الإسلامِ والمسلمينَ، وقمتُ بعرضِها على أميرِ الجيشِ وحدَهُ، ثمَّ البرناويِّ، ثمَّ... وهكذا كلُّ قائدٍ بمفردِهِ.

أعلمُ أنَّ الأمرَ كانَ عندَهمْ محسومًا، وقدْ كانَ دليلُهمْ ما جاءَ عنْ ابنِ تيميةَ -رحمهُ اللهُ-، وكانَ همّي أنَّ هذهِ المسألةَ (وإنْ كانَ فيها خلافٌ والراجحُ عندَ الجمهورِ عدمُ السبيِ؛ فقدْ قرأتُ في شرح مسلمٍ -رحمهُ اللهُ- أنَّ الصحابةَ بعدَ أنْ سبَوْا نساءَ بني حنيفةَ تركوا سبيَ نساءِ المرتدينَ)، فهيَ مسألةٌ أضرتْ بصورةِ الجهادِ كثيرًا في أمةٍ غابَ عنها حكمُ الشريعةِ فوقَ المئةِ عامٍ.

قررَ قائدُ الجيشِ أنْ يأخذَ بالقولِ الراجحِ، وقالَ لي: سأطلبُ منْ الجميعِ بالسمعِ والطاعةِ أنْ يأتوني بكلِّ سبايا باقا وغيرها منْ نساءِ المرتدينَ، وأطلقُ سراحَهُنَّ وأصلحُ شأنَهُنَّ. بفضلِ اللهِ، قامَ القائدُ عليو بكلِّ ما وعدَ واستجابَ لهُ الجميعُ عدا الإمامَ.. رفضَ ذلكَ وقالَ: أنا معَ الرأيِ الآخرِ ولنْ أتركَ مَنْ بيدي.. جاءتْ توجيهاتُ الدولةِ لهُ بأنها لا ترى سبيَ نساءِ المرتدينَ، وأنَّ سياستَها الشرعيةَ تمنعُ ذلكَ لِمَنْ يراهُ جائزًا.. فرفضَ الاستجابةَ دونَ تصريحٍ، فقطْ استدعى أميرَ الجيشِ وأخبرَهُ أنهُ في غربِ أفريقيا ولا يتأثرُ بسياستِهِ مَنْ في العراقِ.

كانَ أمرًا سعيدًا بالنسبةِ لي وللمهاجرينَ والأنصارِ منْ طلابِ العلمِ؛ فكمْ كانَ الصمتُ يؤلمُهمْ وهمْ يريدونَ هذا التغييرَ، ولكنْ لكلِّ أجلٍ كتابٌ. بعضُ النساءِ آثرنَ البقاءَ معَ

الإخوةِ فقاموا بتزويجِهِنَّ والنفقةِ عليهِنَّ، أما السبايا النصارى فكانَ الشأنُ يُعتقُ مَنْ أسلمتْ ويُزوجُها ويدفعُ لها مهرَها إنْ رغبتْ في أحدِ الإخوةِ.. لكنْ لا تعودُ لأهلِها.

لمْ يتمَّ توضيحُ هذهِ المتغيراتِ في الإعلامِ لأنها منْ خفايا الأمورِ.. ولمْ يهتمِ الإخوةُ بتوثيقِها لأنَّ هذا قدْ يستفزُّ الإمامَ ويأتي بنتيجةٍ غيرِ محمودةٍ.. هكذا تغيرتْ أهمُّ سياساتٍ كانتْ تضرُّ بدعوتِنا وجهادِنا في غربِ أفريقيا: حرقُ الأسواقِ والمدنِ (باستثناءِ قرى النصارى المحاربينَ)، واستباحةُ أموالِ وأرواحِ مَنْ خرجَ منْ دارِ الإسلامِ حيثُ حكمُ الشريعةِ، وأخيرًا تركُ سبيِ نساءِ المرتدينَ وإطلاقُ سراحِ مَنْ كانتْ في أيديِ الإخوةِ سبيةً سابقًا.

كنتُ أتعجبُ أنَّ كثيرًا منْ الإخوةِ لهُ زوجةٌ أوْ زوجتانِ رغمَ صغرِ سنِّ بعضِهِمْ، ورغمَ هذهِ الحربِ المستعرةِ ضدَّنا، وكيفَ يوفقُ أحدُهمْ بينَ القتالِ والزواجِ باثنتينِ؟ فجاءَني

الردُّ منْ شابٍّ لا يبلغُ عشرينَ عامًا يقولُ لي: (زوجتي هيَ مَنْ اختارتْ لي ضرتَها، نحنُ هنا في نيجيريا الزواجُ بأكثرَ منْ واحدةٍ أمرٌ تعودتْ عليهِ النساءُ بكلِّ سهولةٍ ويسرٍ، بلْ أحيانًا هيَ تطلبُ منكَ ذلكَ).. هكذا ثقافتُهمْ!

في مساءِ أحدِ الأيامِ بينما كنتُ معَ أميرِ الإعلامِ بادرَني بسؤالٍ مفاجيٍٕ: "ألا تريدُ الزواجَ؟!" قلتُ لهُ: "بلى" بحسنِ نيةٍ.. قالَ لي: لوْ شئتَ زوجتُكَ الليلةَ بابنتي.. واللهِ تفاجأتُ بصورةٍ بدتْ على وجهي واستحييتُ، ألديهِ بنتٌ في عمرِ الزواجِ وهوَ في هذا العمرِ ويزوجُها لِمَنْ هوَ أكبرُ منْ أبيها؟! ما أروعَ هؤلاءِ القومِ وبساطةَ حياتِهمْ.. قالَ لي: لديَّ ثلاثُ زوجاتٍ فلا تتعجبْ وضَحِكَ فضحكتُ، وجعلتُها لحظةً منْ الابتهاجِ حتى نسينا الأمرَ.. هكذا حياتُهمْ كأنكَ في عهدِ الصحابةِ بساطةً وعفويةً واتباعًا لكلِّ ما بلغَهمْ

عنْ رسولِ اللهِ -صلى اللهُ عليهِ وسلمَ- أوْ ما فهموهُ عنْ صحابتِهِ؛ فرغمَ ما فيهمْ منْ أخطاءٍ

ولكنْ لكلِّ شيءٍ دليلٌ، وإنْ كانَ فهمُهُ خطأً فليسَ إلا قلةَ علمٍ وقلةَ العلماءِ.

محاولة اغتيال وقيام الدواوين.

كانَ وصولُ الشابِّ صاحبِ الأربعةِ والعشرينَ عامًا فتحًا جديدًا؛ فأبو عبدِ الرحمنِ

السودانيُّ يجيدُ اللغةَ الإنجليزيةَ، ماهرٌ في الإدارةِ وعلومِها، ولهُ خبرةٌ في دوراتِ التدريبِ

ورفعِ المهاراتِ؛ فقد عملَ وقتًا لا بأسَ بهِ في هذا المجالِ، وكانَ ضمنَ فريقِ عملٍ تطوعيٍّ

خيريٍّ مشهورٍ في بلادي.. وفوقَ هذا كانَ حافظًا للقرآنِ، صاحبَ علمٍ متمكنٍ منْ

مسائلِ العقيدةِ، ورقيقَ القلبِ، طيبَ النفسِ، أحسبُهُ واللهُ حسيبُهُ. ذكرتُ هذا عنه_

حتى يقتديَ الموحدُ بأمثالِ هؤلاءِ الأخفياءِ الذينَ قدَّموا ومضَوْا لا يعلمُهمْ إلا اللهُ وقليلٌ

منْ عبادِهِ.

بعدَ أنْ طابَ لهُ المقامُ زارَني يقترحُ عليَّ أمرًا، لمْ يكنِ الإخوةُ يهتمونَ بهِ؛ فقدْ كانتْ بنيةُ وهيكلةُ الدولةِ الخاصةِ بالجماعةِ (جماعةِ أهلِ السنةِ للدعوةِ والجهادِ) بسيطةً ولمْ تستوعبْ بعدُ ما حدثَ منْ متغيراتٍ على الأرضِ، حيثُ إنهمْ يحكمونَ مدنًا وقرى وأريافًا بحكمِ رجلٍ واحدٍ يسيطرُ على كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ، هوَ الإمامُ والوالي وأميرُ كلِّ منطقةٍ في واقعِ الأمرِ، وتحته_ أمراءُ عسكريونَ على كلِّ قطاعٍ.. وأهلُ الحسبةِ همُ الإدارةُ، ولكنْ لا تخرجُ طلقةٌ ولا يتمُّ تغييرٌ في مكانِ شيءٍ في كلِّ هذهِ المساحاتِ إلا بعدَ أنْ يعلمَ الإمامُ.

"هكذا غابَ النموُ والتطورُ وقيامُ مصالحِ الناسِ، فكانَ الإقبالُ على العيشِ في هذهِ المناطقِ ضعيفًا... والناسُ تبحثُ عنْ دنياها أولاً إلا مَنْ رحمَ ربي، فمَنْ يأتي ليسمعَ منكَ بهذهِ الحالةِ؟" هكذا تناقشَ معي أبو عبدِ الرحمنِ.

قالَ لي: (أنا مستعدٌ لتدريبِهِمْ على الإدارةِ، ووضعِ مقترحٍ لإدارةِ الدولةِ وتقسيمِ المناطقِ، ويتمُّ تعيينُ حكامٍ أوْ ولاةٍ في كلِّ منطقةٍ، وأضعُ للوالي تفاصيلَ إدارةِ منطقتِهِ، وليكنِ "الشكويُّ" قائدَ الدولةِ ومعَ مجلسِ شورتِهِ يضعونَ السياسةَ العامةَ فقطْ في حكمِ المناطقِ كلِّها). أخذتُ كلامَهُ محملَ الجدِّ، وأرسلتُ أطلبُ لقاءَ الإمامِ.

بينما أنا في انتظارِ قدومِ الإمامِ عليٍّ، جاءَني الحرسُ بالطعامِ.. قلتُ لهُ: سأنتظرُ الإمامُ لنأكلَ سويًّا، قالَ لي: "لا، هوَ يتأخرُ قليلاً ولنْ يأكلَ، فكلْ أنتَ".. قررتُ في نفسي الانتظارَ وظننتُ أنَّ انتظاري منْ الأدبِ، هكذا نكونُ في بيوتِ الناسِ. جاءَ الإمامُ وكانَ بنفسِ البشاشةِ معي، بعدَ حوارٍ قصيرٍ عنْ أحوالِ المسلمينَ وقتالِ الطواغيتِ، قلتُ لهُ: أنا أنتظرُكَ بالطعامِ، تغيرَ وجهُهُ فجأةً بعدَ سماعِ كلامي هذا حتى أصابتني الدهشةُ وشيءٌ منْ الخوفِ، حدَّثتُ نفسي سريعًا وراجعتُها: "هلْ قلتُ مصيبةً؟!".. رجعَ وجهُهُ

لطبيعتِهِ وحاولَ الضحكَ قليلاً: "أنا تناولتُ الطعامَ"، وأخذَ صحنَ الطعامِ ووضعه_ أمامي، فأقسمتُ عليهِ أنْ يأكلَ، فأكلْنا سويًّا ليبرَّ بقَسَمي، في أثناءِ ذلكَ مرَّ أميرُ الجيشِ خارجَ الخيمةِ وكأنهُ رأى شيئًا ما رآهُ منْ قبلُ، دائمًا كنتُ أهتمُ بكلِّ تفاصيلِ زياراتي للإمامِ فهيَ بوصلةٌ لفهمِ هذا الوضعِ.

أخبرتُ الإمامَ بقصةِ صاحبِنا الإداريِّ، كانَ إقناعُهُ أمرًا عسيرًا في أولِهِ، ثمَّ أرسلَ لأميرِ الجيشِ ليشاركَنَا الحوارَ..

فوافقَ أخيرًا بتوكيلِ أميرِ الجيشِ بهذا الأمرِ وتقسيمِ المناطقِ وقيامِ دورةِ التدريبِ.. كانَ تغييرًا نزلَ على مسامعِ الجميعِ بردًا وسلامًا، خاصةً طلابَ العلمِ والحسبةِ؛ لأنهمْ على رأسِ أمورِ الناسِ.. وبدأَ العملُ فورًا بحماسٍ شديدٍ، وتمَّ تقسيمُ المناطقِ وحصرُ الجيشِ الذي بلغَ تعدادُهُ وقتَها أربعينَ ألفًا، لكنَّ المسلحَ منهُ لمْ يتجاوزِ العشرينَ ألفًا.

عندما عدتُ إلى الفتحِ المبينِ، سألتُ القائدَ "عليو": لماذا رأيتُ دهشةً في وجهِكَ عندما كنتُ معَ الإمامِ نتناولُ الطعامَ؟ قالَ لي: إنَّ الإمامَ لا يأكلُ معَ أيِّ شخصٍ خارجَ بيتِهِ، فهو_ لا يثقُ بأحدٍ منذُ محاولةِ اغتيالِهِ، قلتُ لهُ: "ماذا؟!" اغتيالِهِ مِمَّنْ؟! قالَ لي: هذهِ قصةٌ طويلةٌ يمكنكَ أنْ تسألهُ عنها.

ما زلتُ بالقائدِ عليو أستنطقُهُ عنْ الحادثةِ حتى قالَ لي: "إنَّ جماعةً منا أرسلَهمُ الإمامُ للتدريبِ بالتنسيقِ معَ تنظيمِ القاعدةِ في المغربِ الإسلاميِّ، وبعدَ فترةِ التدريبِ ورفعِ قدراتِهِمْ عادوا إلى الجماعةِ هنا ولكنْ بغيرِ ما ذهبوا بهِ... جلسَ أميرُهُمْ أبو خالدٍ البرناويُّ معَ الإمامِ وطلبَ منهُ أمورًا.. ولخَّصَها في رسالةٍ مكتوبةٍ.. ولكنَّ الإمامَ رفضَها.. وكانَ أبو خالدٍ يحملُ معهُ مالاً كهديةٍ ودعمٍ للجماعةِ، فرفضَ دفعَهُ للإمامِ إلا أنْ

يتراجعَ عنْ تلكَ النقاطِ التي حاورَهُ عليها. بعدها كانتْ بينهما قطيعةٌ.. فاعتزلَ أبو خالدٍ ومَنْ معهُ الجماعةَ، ثمَّ حدثتْ بعدَ ذلكَ محاولةُ اغتيالِهمْ للإمامِ".

مجلس الشورى والقتل بالجنسية

بعدَ بزوغِ الفجرِ وعندما خرجَ الشيخُ محمدُ نورٍ خرجتُ وراءَهُ، أسألُهُ عمَّا حدثَ بينَ أبي بكرٍ الشكويِّ وأبي خالدٍ البرناويِّ إنْ كانَ يعلمُ هذا الأمرَ، فأخبرَني أنَّ المعلوماتِ الموثوقةَ عندَ أميرِ الجيشِ، وهناكَ مراسلاتٌ بينَ الشكويِّ وأبي خالدٍ محفوظةٌ. هناكَ مراسلةٌ مكتوبةٌ أرسلَها أبو خالدٍ ومجموعتُهُ إلى الشكويِّ وفيها تفاصيلُ ما أرادوهُ والخلافُ الذي بينَهمْ، طلبتُ منْ أميرِ الجيشِ الحصولَ على هذهِ المذكرةِ أوْ الورقةِ، بعدَ أيامٍ جاءَني أحدُ الحرسِ يطلبُ مني زيارةَ قائدِ الجيشِ، ذهبتُ إليهِ فأعطاني الورقةَ التي

كانتْ كما أذكرُ -وأهمُ النقاطِ فيها فقطْ-: أولاً كانوا يتكلمونَ معهُ أنهمْ يخالفونَهُ في أشياءَ ويتفقونَ في أشياءَ، وأنَّ طلباتِهمُ التي يريدونَها ليستمرّوا معهُ وتحتَ إمرتِهِ هيَ الآتي:

مسألةُ العذرِ بالجهلِ: يرونَ خلافَ الشكويِّ الذي لا يعذرُ بالجهلِ (لكني لا أتذكرُ تفاصيلَ كلامِهمْ فيها).

مسألةُ الشورى: فهمْ يطلبونَ منهُ إقامةَ مجلسٍ للشورى يرأسُهُ الإمامُ، وهوَ يرى عدمَ وجوبِ ذلكَ.

كانَ هناكَ عدةُ نقاطٍ ولكني قدْ نسيتُها، لكنها جميعًا تدورُ في مسائلِ الاعتقادِ.

كانتْ أهمُّ نقطةٍ في هذهِ المذكرةِ هيَ مجلسُ الشورى، والذي يراهُ الشكويُّ منازعةً للتغييرِ، ويراهُ الآخرونَ أمرًا شرعيًّا ضروريًّا. عندما قرأتُ المذكرةَ وجدتُ في تلكَ اللحظاتِ أنها طلباتٌ منطقيةٌ ولا تستحقُّ أكثرَ منْ الحوارِ، وأنها مسائلُ يمكنُ أنْ تكونَ بينَ الناسِ مكانَ نقاشٍ شرعيٍّ، ولكنْ لمْ يكنِ الوضعُ معَ الشكويِّ بهذهِ الصورةِ.

لمْ يكنْ هذا الأمرُ يأخذُ مني حيزًا منْ التفكيرِ كبيرًا، فالأمورُ هنا متسارعةٌ والأحداثُ كثيرةٌ، فإنهُ لا يمرُّ يومٌ إلا وهناكُ معركةُ هجومٍ أوْ دفاعٍ، كلَّ يومٍ حدثٌ جديدٌ إما في إمارةِ الإعلامِ وإما في النواحي العسكريةِ.

في الإدارةِ، أتاني الأخُ أبو عبدِ الرحمنِ يستشيرُني فيما وضعَ منْ برنامجٍ، اطلعتُ على خطتِهِ ورأيتُها جميلةً وواقعيةً فأيدتُهُ وشجعتُهُ. بدأتِ الدورةُ التدريبيةُ في العاصمةِ الفتحِ

المبينِ، ثمَّ انتقلتْ دورةٌ أخرى إلى مدينةِ قمبارو، وهكذا كنتُ أسمعُ منْ الإخوةِ الأنصارِ المدحَ والتشجيعَ فيما يقومُ بهِ أبو عبدِ الرحمنِ السودانيُّ.

بعدَ تقسيمِ المناطقِ وتعيينِ والٍ لكلِّ منطقةٍ تفاجأنا بقرارٍ منْ الشكويِّ يقضي بتعيينِ أميرِ الجيشِ أميرًا على كلِّ هؤلاءِ الولاةِ، وكأنها محاولةُ التفافٍ على قرارِهِ السابقِ، ولكنْ عندما أخبرَني أميرُ الجيشِ بذلكَ حرضتُهُ أنْ يكونَ التغييرُ صوريًّا، وأنْ يتركَ الولاةَ في أعمالِهمْ، وتكوينِ مجلسٍ مشتركٍ لهؤلاءِ الولاةِ حتى يستطيعوا التنسيقَ بينَهَمْ بعيدًا عنْ الشكويِّ، وافقَ أميرُ الجيشِ على ذلكَ فالأمرُ كانَ بعدَ اللهِ بيدِهِ.

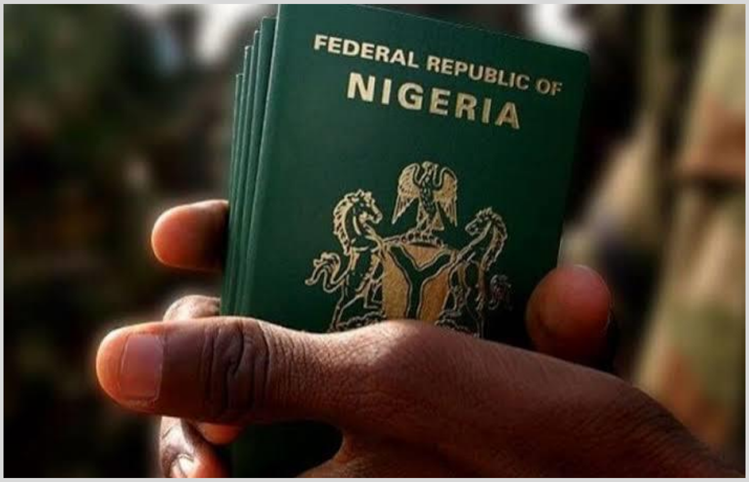
خرجتْ معي مجموعةٌ منْ الإخوةِ في عملٍ على بعدِ مئتي كيلومترٍ منْ العاصمةِ الفتحِ المبينِ، كانتْ مهمةً صغيرةً.. عندما أكملْنا مهمتَنا، وفي تلكَ البلدةِ التي يسميَها الإخوةُ البحرينَ جلستُ في بيتِ أميرِ المدينةِ، كانَ رجلاً جميلَ الصوتِ في القرآنِ، وكانَ كثيرًا ما يتلو

القرآنَ بصوتٍ عالٍ، كانتْ تعجبُني تلاوتُهُ فأجلسُ وأستمعُ لهُ.. حتى تعلقَ قلبي بهذا الأميرِ لحبِّهِ للقرآنِ فيما يبدو لي.

خرجتُ يومًا إلى السوقِ وأصبحَ الجميعُ يعرفونَني لأنني العربيُّ الوحيدُ في هذهِ البلدةِ، والمهاجرُ الوحيدُ الذي يسكنُ معَ أميرِ المدينةِ. كنتُ أطوفُ في السوقِ لأنظرَ كيفَ أحوالُ الناسِ وكيفَ يعيشونَ، كيفَ التجارةُ والتعاملُ معَ الكاميرونيينَ؛ لأنَّ البلدةَ على الحدودِ، وهلْ يحبونَ أميرَ المدينةِ؟ وهلْ هؤلاءِ جنودٌ وإخوةٌ مقاتلونَ أمْ سكانٌ منْ عوامِّ الناسِ؟ جمعتُ معلوماتي حتى أستفيدَ وأفهمَ كيفَ تسيرُ الأمورُ.

في مبنًى خارجَ السوقِ، قابلتُ أحدَ طلابِ العلمِ الشرعيِّ المسؤولينَ عنْ الحسبةِ، طلبَ مني الجلوسَ والحديثَ معهُ قليلاً، وسألَني عنْ أحوالِ الإخوةِ في الجبهاتِ الأخرى، ثمَّ تكلمَ لي عنْ أميرِ المدينةِ وقولي فيهِ، ثمَّ سألَني سؤالاً مباشرًا: "ما رأيُكَ يا شيخُ في

استخراجِ الجنسيةِ أوْ جوازِ السفرِ؟" فأخبرتُهُ بما أعتقدُهُ، فقالَ لي: "أتعلمُ أنَّ أميرَ المدينةِ قدْ قتلَ أكثرَ منْ عشرةٍ منْ الرجالِ في ساحةِ المدينةِ بسببِ اقتنائِهِمْ لأوراقٍ ثبوتيةٍ مثلِ الجنسيةِ والجوازِ؟!" كانَ الأمرُ صادمًا لي جدًّا، وأخذتُ أتذكرُ كيفَ كانَ رجلاً بشوشًا، هلْ يُصدقُ أنهُ قتلَ عشرةً منْ المسلمينَ بسببِ أنَّ لديهمْ أوراقًا ثبوتيةً وأنَّ هذا دليلٌ على ردتِهِمْ؟! قلتُ لهُ: جزاكَ اللهُ خيرًا، وإنْ شاءَ اللهُ أنصحُ لهمْ.



الردة بالهروب وتغيير الفتوى

جاءتْ تعليماتٌ بعزلِ آغا (الشكويِّ الصغيرِ) أميرِ بلدةِ البحرينِ، وفاتحِ مدينةِ بانكي الحدوديةِ معَ ليماني الكاميرونيةِ، والذي قتلَ سابقًا عشرةً منْ سكانِ البلدةِ ردةً لحملِهمْ أوراقَ جنسيةٍ.. تمَّ حبسُهُ في مقرِّ الحسبةِ، قررتُ الذهابَ لزيارتِهِ وسؤالِهِ عنْ عمليةِ القتلِ هذهِ، وحكمِ هؤلاءِ عندَهُ، ومصدرِ الحكمِ عليهِمْ. بعدَ أنْ أخذتُ إذنَ الزيارةِ ذهبتُ إليهِ وحدي.. فرحَ بزيارتي أولَ الأمرِ، ثمَّ بعدَ طرحِ أسئلتي علا صوتُهُ غاضبًا حينَ جادلتُهُ وقالَ لي: (لقدْ سمعتُ رئيسَ الكاميرونِ يقولُ: هوَ وكلُّ كاميرونيٍّ سواءٌ، فكلُّهمْ يحملونَ جنسيةَ الكاميرونِ، ألا ترى أنَّ مَنْ قبلَ بهذا القولِ كافرٌ؟!).

توقفتُ قليلاً عنْ الردِّ حتى يهدأَ غضبُهُ، ثمَّ قلتُ لهُ: وهلِ المسلمونَ في الكاميرونِ يقبلونَ قولَهُ؟ قالَ لي: نعمْ، كلُّ مَنْ استخرجَ الجنسيةَ يعني هوَ وافقَ على قولِ هذا الطاغوتِ.. ثمَّ

اشتدتْ لهجتُهُ معي فخشيتُ منْ الاستمرارِ في الكلامِ.. وحاولتُ تغييرَ الحوارِ بقولي: (أخبروني أنكَ قائدُ فتحِ بانكي، إنها مدينةٌ جميلةٌ وهادئةٌ، ولكنْ لا يوجدُ فيها إلا قليلٌ منْ السكانِ في قرى أطرافِها، فلماذا يهجرُ الناسُ مثلَ هذا المكانِ الرائعِ؟) قالَ لي بكلِّ برودٍ: (أنا شردتُهُمْ عندما ذهبوا إلى ليماني الكاميرونيةِ، إنهمْ مرتدونَ).

أخذتُ نفسًا عميقًا وحاولتُ تمالكُ أعصابي، ولا أنسى هذا اليومَ أبدًا، فقدْ حزنتُ فيهِ كثيرًا منْ ضياعِ هذهِ الخيراتِ بمثلِ هذهِ الأحكامِ المدمرةِ، قلتُ لهُ: لماذا مرتدونَ؟!

فأجابَني ببرودِهِ الأولِ: (إنهمْ يكرهونَ شريعةَ اللهِ وهذهِ ردةٌ.. هربوا عندما هجمنا على المدينةِ وذهبوا إلى أرضِ الطاغوتِ في ليماني الكاميرونيةِ، ونحنُ جئنا لتطبيقِ الشريعةِ، أليسَ هذا يعني أنهمْ لا يريدونَ شرعَ اللهِ؟ لذلكَ لاحقتُهُمْ هناكَ، والآنَ لا يجرؤُ أحدٌ أنْ يدخلَ حتى "ليماني" نفسَها).

رجعتُ منْ البحرينِ ونفسي في همٍّ شديدٍ فمنْ أينَ أبدأُ؟ كانَ البرناويُّ أولَ مَنْ قابلتُهُ في مقرِّ الضيافةِ.. طلبتُ منهُ أنْ نتحدثَ معَ الشيخِ محمدِ نورٍ وغيرِهِ بخصوصِ الأوراقِ الثبوتيةِ، فالأمرُ جللٌ. كانَ لي ما أردتُ.. وأخبرتُ الشيخَ أنَّ الإخوةَ في تشاد والكاميرون والنيجر ونيجيريا كلَّهمْ يعملونَ في سبيلِ اللهِ ويحملونَ أوراقًا ثبوتيةً فما حكمُهمْ؟ ومَنْ يأتيكمْ مهاجرًا بالطائرةِ يحملُ جوازًا، فهلْ ترونَ كلَّ هؤلاءِ كانوا مرتدينَ ثمَّ يحتاجونَ للتوبةِ بعدَ وصولِهمْ إليكمْ؟! وما هوَ مناطُ الكفرِ في هذهِ الأوراقِ الثبوتيةِ؟ وهلْ يستوي الحالُ في نيجيريا معَ بقيةِ المناطقِ؟! كانَ حوارًا لمْ يجدْ إجابةً شافيةً سوى قولِهِ: إنها إقرارٌ وقبولٌ بالمواطنةِ الكفريةِ.

وافقَ الجميعُ أنْ نعرضَ الأمرَ على عالمٍ أوْ اثنينِ مِمَّنْ لهُ فقهٌ وديانةٌ.. فكانَ فتحًا مبينًا.. جاءتْ رسالةٌ مكتوبةٌ أقنعتِ الجميعَ بوقفِ القتلِ بالأوراقِ الثبوتيةِ، ولمْ يقتنعِ الشكويُّ

بهذا الكلامِ بلْ غضبَ غضباً شديدًا، ولكنَّ أميرَ الجيشِ نفى تهمةَ التعدي في الفتوى عني أمامَ الشكويِّ خشيةَ أنْ يصيبَني بأذًى، وزعموا لهُ أنها فتوى منْ الخارجِ وأنهمْ يشورونَهُ فيها، فسكنَ غضبُهُ، وأرسلَ إليَّ وحذرَني منْ الحديثِ في هذا الأمرِ قالَ لي: "إنَّ الإخوةَ وكلَّ موحدٍ لا يحتاجُ لهذهِ الجنسياتِ والجوازاتِ؛ فالسفرُ والهجرةُ يمكنُ أنْ تكونا بدفعِ المالِ فقطْ، فالطواغيتُ عبيدٌ للمالِ، كانَ يتحدثُ بثقةِ مَنْ سافرَ وجالَ في العالمِ بدونِ جوازاتٍ".. لأولِ مرةٍ أرى في عينيهِ شرًّا وكأنَهُ يخفيَهِ وراءَ كلماتٍ منمقةٍ، أخبرَني أميرُ الجيشِ والبرناويُّ أنهما سيعملانِ بالفتوى الجديدةِ ولنْ يعلمَ الشكويُّ، فالتعليماتُ تأتي منْ القيادةِ العسكريةِ ولا يقابلُ الشكويُّ الجنودَ. وانتشرتْ بفضلِ اللهِ الفتوى مكتوبةً في جميعِ المناطقِ بأمرِ عليو قائدِ الجيشِ، ووجدتْ قبولاً ومعارضةً ولكنْ ما يتجرأُ أحدٌ بالمخالفةِ وقتَها.

توضيحات شرعية حول الجنسية والمدارس *بخصوصِ الأوراقِ الثبوتيةِ مثلِ الجوازاتِ والجنسيةِ، اطلعتُ على نشأةِ هذهِ الفكرةِ ووجدتها في توجيهاتِ الأممِ المتحدةِ؛ تمَّ تعريفُها بأنها طريقةُ حصرٍ للشعبِ لتعلمَ كلُّ دولةٍ عددَ أفرادِها الذينَ لهمْ حقوقٌ عليها ولها واجباتٌ عليهِمْ.. فهيَ وسيلةٌ للحصرِ بغضِ النظرِ عنْ ولاءِ الفردِ أوْ براءتِهِ منْ الحكومةِ التي تحكمُ البلادَ ودساتيرِها، لذلكَ تجدُ الطواغيتَ يحرصونَ على مواضيعِ الجنسيةِ والجوازاتِ ليتحملَ كلٌّ منهُمْ مسؤولياتِهِ أمامَ الدولِ الأخرى.. بهذا التوضيحِ تجدُ أنَّ معظمَ الدولِ لا تشترطُ أيَّ أقوالٍ أوْ أفعالٍ مكفرةٍ للحصولِ على أوراقِ الجنسيةِ، فقطْ إثباتُ أنكَ منْ مواليدِ البلدِ بشهادةِ العصبةِ منْ أبٍ أوْ عمٍّ أوْ مثلِهِمْ، وأنَّ أباكَ منْ قبْلِكَ منْ مواليدِ البلادِ نفسِها والقبيلةِ ونحوِ ذلكَ، وتقسمُ أنَّ هذهِ معلوماتٌ صحيحةٌ، أما الجوازُ فأمرُهُ أسهلُ.

أما التجنسُ فأمرٌ آخرُ وليسَ هذا ما تحدثنا عنهُ في قصتِنا بغربِ أفريقيا.. وكلامُ أهلِ العلمِ في التجنسِ موجودٌ ومنشورٌ، لأنَّ بعضَ دولِ الجوءِ تطلبُ منكَ قسمًا أوْ إقرارًا مكتوبًا باحترامِ دستورِها و... و....، فليراجعْ مَنْ أرادَ معرفةَ التفاصيلِ رسائلَ العلماءِ في ذلكَ..

فالجنسيةُ لصاحبِ البلدِ لا يوجدُ في استخراجِها أيُّ مكفرٍ.. ومَنْ أرادَ معرفةَ حكمِ التكفيرِ باللازمِ فليراجعْ علماءَ الجهادِ الصادقينَ.. واللهُ منْ وراءِ القصدِ وهوَ يهدي السبيلَ.

*بخصوصِ المدارسِ وتكفيرِ الطلابِ والمعلمينَ، كانَ مناطُ الكفرِ عندَهمْ في الآتي:

أولاً: نشيدُ العلمِ:

(نيجيريا، نحييكِ.. يا وطنَنا العزيزَ.. رغمَ اختلافِ القبيلةِ واللسانِ.. نثبتُ نيجيريينَ.. نخورونَ بخدمةِ بلدتِنا.. ولواؤُنا رمزٌ ليسودَ الحقُّ والعدلُ).

هذهِ الكلماتُ يتمُّ ترجمتُها منْ اللغةِ الإنجليزيةِ، فالمشكلةُ عندَ الشكويِّ ومَنْ يرى رأيَهُ (وكانَ هذا غالبَ قياداتِهِ وجنودِهِ) كلمةٌ واحدةٌ هيَ (serve)، فأخبرَني الشكويُّ أنهمْ يقولونَ: (نعبدُ نيجيريا)، وعندما سألتُ الشيخَ محمدَ نورٍ قالَ لي: تحتملُ هذهِ وتحتملُ (نخدمُ نيجيريا).. لكننا نراهمْ يمجدونَ هذا النشيدَ ويقدسونَ العلمَ.. والطلابُ يقفونَ_ كلَّ يومٍ لهذا العلمِ عندَ الصباحِ يرددونَهُ.

ثانيًا: هناكَ أقوالٌ كفريةٌ في موادِّ التدريسِ مثلِ الجغرافيا والتاريخِ، كقولِهِمْ: الأرضُ تدورُ حولَ الشمسِ وهيَ ثابتةٌ ومركزُ المجرةِ، والقرآنُ يقولُ: (والشمسُ تجري لمستقرٍّ

لها..) الآية. وحديثُ رسولِ اللهِ -صلى اللهُ عليهِ وسلمَ- أنَّ الشمسَ تذهبُ وتسجدُ تحتَ العرشِ.. فما يدرسونَهُ يخالفُ القرآنَ والسنةَ... وتدريسُهُمْ أنَّ الأرضَ كرويةٌ.

ثالثًا: هذهِ المدارسُ تلغي عقيدةَ الولاءِ والبراءِ.

كانَ نقاشي معَهمْ:

1. في كلماتِ النشيدِ وأنها محتملةٌ، والترجمةُ يجبَ أنْ تكونَ حسبَ مقصدِهمْ (مرفقٌ فيديو لطلابِ مدرسةٍ يرددونَ النشيدَ وقدْ حذفتُ منهُ الموسيقى.. كُتبتْ فيهِ كلماتُ النشيدِ في الأسفلِ).

2. مسألةُ تدريسِ الأقوالِ التي هيَ كفرٌ وموضوعُ الولاءِ والبراءِ؛ هذهِ المسائلُ قرأتُ أنها حرامٌ وليستْ كفرًا، وحالُ كلِّ طالبٍ ليسَ بالضرورةِ حالَ الآخرِ.. وحتى لا أتقولَ على اللهِ رجعنا للمشايخ فقالوا: وضعُ كلِّ دولةٍ يختلفُ عنْ الأخرى، وفي نيجيريا الوضعُ

يحكمُ بهِ علماءُ يعلمونَ تفاصيلَ الواقعِ.. ولكنْ آخرَ الأمرِ اتفقنا جميعًا (عدا الشكويِّ) على عدمِ استهدافِ المدارسِ والجامعاتِ لأنها ليستْ طائفةَ ذاتِ شوكةٍ، ويجبُ دعوتُهمْ كما كانَ يفعلُ أبو يوسفَ -رحمهُ اللهُ-.

كنتُ أحاولُ إقناعَهمْ بافتتاحِ مدارسَ بديلةٍ يتمُّ تنقيحُ المناهجِ وإعدادُ مناهجَ علميةٍ وشرعيةٍ ينتفعُ بها المسلمُ، لكنهمْ لمْ يستحسنوا الفكرةَ لعدةِ أسبابٍ، ولعلَّ اللهُ يلهمُهمْ ما فيهِ الخيرُ لاحقًا..

وجاءتهمْ توجيهاتُ الدولةِ بعدمِ استهدافِ المدارسِ بعدَ ذلكَ فالتزموها فترةً، وبعدَ ذلكَ رجعَ الشكويُّ لاستهدافِها والسبيِ منها مرةً أخرى دونَ علمِ الدولةِ.. مما أدى لعزلِهِ لاحقًا.

هذهِ المسائلُ يجبُ تحريرُها وضبطُها منْ قِبلِ علماءَ راسخينَ حتى لا نسيرَ على غيرِ هدًى فلا نصلَ لمرادِ اللهِ منا.. فهنا كأحكامٌ شرعيةٌ وفتاوى ترتبطُ بالسياسةِ الشرعيةِ ومصلحةِ قيامِ دولةِ الشريعةِ، ولا يعلمُها مثلي وأمثالُ عامةِ المجاهدينَ، بلْ لعلماءِ الجهادِ الفصلُ فيها فهمْ أهلُ الحلِّ والعقدِ.. ومَنْ كانَ منْ العلماءِ قاعدًا عنْ فريضةِ الوقتِ فليعلمْ أنه سببٌ رئيسيٌ في تأخرِ النصرِ.

واللهَ أسألُهُ القبولَ والتجاوزَ عني وعنْ مَنْ ساندَني إنْ أخطأنا.

بكاء مهاجر وهدنة الرئيس الكاميروني

اجتمعَ الإخوةُ في ساحةِ التجهيزِ والجميعُ مشغولٌ بتجهيزاتِ المعركةِ للانطلاقِ حيثُ العدوُّ، كانتْ إحدى المهماتِ الهجوميةِ، وبينما أنا معَ أحدِ الإخوةِ نتحدثُ جاءَني منادي قائدِ الجيشِ يطلبُ حضوري عندَهُ.. ذهبتُ فوجدتُهُ يقفُ معَ أحدِ المهاجرينَ

السنغاليينَ تحتَ شجرةٍ كبيرةٍ صامتًا، والمهاجرُ عيناهُ مليئتانِ بالدموعِ ويقولُ لهُ: (لا أريدُ أنْ أتزوجَ بلْ أريدُ الخروجَ معَهمْ، أسألُكَ باللهِ لا تردَّني).

نظرَ إليَّ الأميرُ قائلاً: (يا شيخُ قلْ لهُ شيئًا.. هذا الأخُ جهزَ بيتَهُ، وزوجتهُ أُعِدَّتْ لهُ وسيَبني بها الليلةَ، فلما علمَ بهذهِ المعركةِ قالَ إنهُ يريدُ الخروجَ ولا يطيقُ أنْ يبقى الليلةَ زوجًا والإخوةُ في معركةٍ.. وأنا أقولُ لهُ: ما ذنبُها أنْ تتركَها وقدْ تهيأتْ والمعركةُ تمضي بدونِكَ؟ فالمهمةُ لا تحتاجُ فوقَ ما أعددْنا لها).. قلتُ لهُ: "واللهِ لا أجدُ ما أقولُ.. فإنْ كانَ هذا قرارُكَ فإنهُ السمعُ والطاعةُ.. ويحتسبُ هوَ الأجرَ عندَ اللهِ في زواجِهِ لعلَّ اللهَ يرزقُهُ خيرًا منْ هذا..".

خرجَ الجيشُ والأخُ ينظرُ مودعًا والدمعُ في عينيهِ.. وأقولُ في نفسي: سبحانَ مَنْ اشتاقتْ لهُ نفوسُ أقوامٍ أجسادُهمْ بينَنا وأرواحُهمْ في السماءِ!

أرسلَ الرئيسُ الكاميرونيُّ رسولَهُ بالهدنةِ وطلبَ وقفَ العدائياتِ كما يسمونَها.. كنتُ معَ الشيخِ محمدِ نورٍ في مقرِّ الضيافةِ فدخلَ علينا رجلٌ بدينُ الجثةِ لكنهُ بشوشٌ وهادئٌ، ألقى السلامَ وجلسَ ينتظرُ.. بعدَ وقتٍ قصيرٍ جاءَ قائدُ الجيشِ عليو ورحبَ بالرجلِ ثمَّ أخذَهُ للخارجِ ساعتينِ أوْ نحوِ ذلكَ.. رجعَ إلينا وهوَ متغيرُ الوجهِ كالذي يفكرُ بعمقٍ، عاجلتُهُ بالسؤالِ: (ما بكَ يا أخي؟).. قالَ لي: كنتُ أتحدثُ معَ رئيسِ الكاميرونِ!!.. ماذا؟! هكذا سألتُهُ مندهشًا منْ كلماتِهِ.



أخبرَنا أنَّ هذا الرجلَ رسولٌ منْ هناكَ يحملُ جوالاً خاصًّا تحدثَ بهِ معَ الرئيسِ الكاميرونيِّ، وهوَ يطلبُ منهُ هدنةً وسلامًا، وسيسحبُ الجيشَ منْ الحدودِ عشرةَ كيلومتراتٍ؛ لإبداءِ حسنِ النيةِ، لكنْ بشرطِ عدمِ دخولِ الإخوةِ إلى الأراضي الكاميرونيةِ ووقفِ كلِّ عدائياتٍ بينَهمْ..، قلتُ لهُ: وماذا قلتَ لهُ؟ قالَ: لمْ أُعْطِهِ ردًّا.. سننظرُ ثمَّ نردُّ فإنَّ لنا أسرى في الكاميرونِ نريدُهمْ.

قلتُ لهُ: ليتَكَ توافقُ وليتَ الإمامَ يوافقُ حتى نكسرَ هذا التحالفَ، فكلُّ واحدٍ منهمْ يهتمُ بنفسِهِ فلماذا لا نشتتُ جمعَهمْ؟ وهذا يعطينا قدرةً أقوى في الدفاعِ عنْ بقيةِ المناطقِ، فأجابَني: "أنا لا أثقُ في عهودِهمْ وأظنُّهمْ يريدونَ هدنةً حتى يستعدّوا لنا أكثرَ، لذلكَ أقربُ إلى نفسي أننا لنْ نوافقَ". لمْ أزدْ عما قلتُه لهُ فَهُمْ أدرى بالأمرِ على أرضِ الواقعِ، فهذهِ أرضُهمْ يدركونَ كيفَ يتعاملونَ معَ هؤلاءِ الطواغيتِ.

بعدَ عدةِ أيامٍ ذهبَ أحدُ القادةِ إلى الشكويِّ يخبرُه أنَّ رئيسَ النيجرِ يبحثُ عنْ هدنةٍ أيضًا، وحتى يقطعَ الطريقَ على أميرِ الجيشِ لوْ فكرَ في الموافقةِ، طلبَ منْ الشكويِّ أنْ يعطيَهُ سلاحًا ليهجمَ على مدينةِ ديفا النيجريةِ؛ فهذا القائدُ والشكويُّ لا يريدونَ وقفَ القتالِ معَ أيِّ حكومةٍ طاغوتيةٍ، هكذا يفكرونَ ويرونَ أنَّ الهدنةَ في مصلحةِ العدوِّ.. وبالفعلِ تفاجأنا جميعًا في العاصمةِ بهجومٍ جديدٍ على "ديفا"، وذهبتْ محاولاتُ الدولتينِ أدراجَ الرياحِ، فانقضَّ أميرُ القطاعِ الحدوديِّ معَ الكاميرونِ على معسكرٍ كبيرٍ للجيشِ الكاميرونيِّ ليفعلَ بهِمِ الأفاعيلَ ويغنمَ مدفعَ هاوزر ضخمًا وسلاحًا ثقيلاً ويعودَ سالمًا. أخبرَني أميرُ الجيشِ عليو أنَّ هذهِ تعليماتُ الشكويِّ دونَ الاتفاقِ معهُ وهوَ نفسُهُ تفاجأَ بالعملياتِ، مما خلقَ جوًّا منْ التوترِ بينَ الإمامِ وعليو.. وبدأتْ مرحلةٌ جديدةٌ منْ التجاوزاتِ العسكريةِ التي أوجبتْ وقفةً لترتيبِ الأوضاعِ. بدأتُ أشعرُ بأنَّ الأمورَ تسيرُ

في اتجاهِ التصعيدِ العسكريِّ منْ جهةِ الإمامِ، وهذا ربما يقودُ لعودةِ التحالفِ الرباعيِّ علينا في وقتٍ نحنُ نؤسسُ فيهِ لدولةٍ منظمةٍ ليهاجرَ إليها النيجيريونَ أولاً منْ ظلمِ النصارى وعملائِهِمْ.. فكانَ لا بدَّ منْ اجتماعِ المشايخِ والعسكريينَ لمعرفةِ المصالحِ الشرعيةِ وإخراجِ القراراتِ بالشورى وإلزامِ الإمامِ بها.

النجاة من القتل والمتحدث الرسمي

بدأتِ الأمورُ تمضي للأمامِ، وأصبحتِ الدولةُ في وضعٍ مختلفٍ؛ فتوزعتِ الدواوينُ وقُسّمتِ المناطقُ وعُيّنَ أمراءُ لكلِّ منطقةٍ، واختفتْ كثيرٌ منْ المظاهرِ التي كنّا لا نرضى عنها، وأصبحَ الذي يتصدرُ هذهِ التغييراتِ هوَ أميرُ الجيشِ والشيخُ أبو مصعبٍ، كانتْ تغييراتٍ جذريةً، وأصبحَ الشكويُّ يشعرُ بأنَّ هناكَ أمرًا يُدبَّرُ منْ ورائِهِ وكانَ يُسيءُ الظنَّ

بالجميعِ، فليسَ لديهِ ثقةٌ في أقربِ الأقربينَ، وكانَ منْ حرصِهِ أنهُ يختارُ حرسَهُ بعنايةٍ، ودائمًا لديهِ قائدٌ مقربٌ خلافَ أميرِ الجيشِ يقضي المهامَّ الخاصةَ، وكانَ عينَهُ وسطَ الجنودِ والقادةِ.

حتى جاءَ ذلكَ اليومُ، حيثُ كانَ معروفًا عنْ الشكويِّ أنهُ يُصدرُ خطاباتٍ للإعلامِ كلَّ فترةٍ معَ كلِّ مناسبةٍ، وكانَ أشدَّ شيءٍ عليهِ قيامُ الانتخاباتِ، دائمًا يحاربُ هذا الأمرَ، وإذا بدأتْ حملةُ الانتخاباتِ يُفكرُ دائمًا كيفَ يستطيعُ إفشالَها، هكذا يقولُ: "أفكرُ في إنقاذِ الناسِ منْ الشركِ"، لكنَّ خطابَهُ هذهِ المرةَ كانَ للخارجِ يتكلمُ عنْ النيجرِ وعنْ بعضِ أمورِ الأمةِ وأحداثِها.. كانَ خطابًا كارثيًّا حسبَ ما أرى، لذلكَ عندما أخبرَني صاحبي أبو سليمانٍ الإعلاميُّ بالتسجيلِ وطلبَ مني سماعَهُ قبلَ أنْ ينشروهُ منْ بابِ المشورةِ -

فالأنصارُ يخافونَ أنْ يردّوا خطابَ الشكويّ أوْ يُعدّلوا عليهِ- سمعتهُ يقولُ فيهِ: (يا شعبَ النيجرِ أنتمْ كفارٌ...)!! وذكرَ أمورًا أخرى.

قلتُ لمسؤولِ الإعلامِ: احذفْ هذهِ.. وهوَ يحذفُ مباشرةً، ثمَّ هذهِ، وهكذا حتى صارَ خطابًا قصيرًا.. ثمَّ قلتُ لهمْ: لا تخبروا الشكويَّ بأيِّ شيءٍ، فقطْ انشروا بقيةَ التسجيلِ، وهوَ إنْ استمعَ إليهِ في الأخبارِ فسيقولونَ إنَّ هناكَ تسجيلاً جديدًا ويظنُّ هوَ أنَّ الأمرَ مضى كما يحبُّ، أقنعتُهمْ أنَّ ما فعلناهُ منْ أجلِ إنكارِ المنكرِ دونَ أذًى، فتكفيرُ الشعبِ النيجريِّ بالجملةِ هكذا يخالفُ الحقَّ.

تمَّ بثُّ التسجيلِ فعلاً ولمْ يعلمِ الشكويُّ ما كانَ. بعدَ أيامٍ قليلةٍ جاءَني رسولُ الإمامِ الشكويِّ يطلبُني.. ظننتهُ أمرًا معتادًا.. لكني تفاجأتُ حينَ دخلتُ عليهِ بوجودِ أميرِ الإعلامِ يجلسُ بينَ يديهِ وكأنهُ طفلٌ صغيرٌ، قالَ لي: اجلسْ فإنَّ لديَّ أمرًا عظيمًا.. لحقَ

بي أميرُ الجيشِ في مقرِّ الشكويِّ، ورأيتُهُ عبرَ بابِ الخيمةِ يغدو ويروحُ بقربِ الخيمةِ، وبعدَ دقائقَ قصيرةٍ قالَ لي الشكويُّ: (بلغَني ما فعلتَ في تسجيلي ولكني عفوتُ عنكَ)، كانتْ صاعقةً فوقَ رأسي ولكني تداركتُ نفسي سريعًا ورددتُ الحديثَ بطلبِ الإنصافِ، فقلتُ لهُ: (يا إمامُ مَنْ أخبرَكَ؟! فيجبُ أنْ تسمعَ مني كما سمعتَ منهُ، هذا حكمُ اللهِ!!)، قالَ لي: إنهُ أبو زنيرةَ هذا أميرُ الإعلامِ.. قلتُ لهُ: (أوَلَيسَ هوَ مَنْ نشرَ تسجيلَكَ وعدَّلَهُ معي؟! فكيفَ يفعلُ ذلكَ ويُخبرُكَ بعدَ نشرِهِ؟! أليسَ منْ العدلِ أنْ يكونَ شريكي فيما فعلتُ؟!).

أجابَ وهوَ ينظرُ إلى أبي زنيرةَ: "هوَ يعلمُ أني أحبُّهُ، ولديَّ هذا قدْ عفوتُ عنكما.." قلتُ لهُ: "لا واللهِ حتى تعلمَ لماذا فعلتُ ذلكَ، لتكونَ على بينةٍ أني لا أخادعُكَ بالتقوُّلِ عليكَ، أنتَ يا إمامُ قلتَ كذا وكذا، فهلْ تقصدُ تكفيرَ شعبِ النيجرِ؟! وأنتَ قلتَ لي ليسَ كلُّ

مَنْ هوَ خارجَ الدولةِ كافرٌ!! أليسَ كذلكَ؟)"، قالَ لي: نعمْ، مقرًّا بحديثي.. ولكنهُ قالَ لي إنهُ لا يقصدُ شعبَ النيجرِ بلْ يقصدُ طواغيتَ النيجرِ. قلتُ لهُ: لذلكَ لا بدَّ أنْ تتركَ أميرَ الإعلامِ يراجعُ خطابَكَ بلا حرجٍ.. بفضلِ اللهِ تمَّ اللقاءُ وخرجتُ منْ عندِهِ وهوَ يضحكُ معي راضيًّا فيما يبدو لي.

قالَ لي أميرُ الجيشِ حينَ خرجتُ ومضينا إلى العاصمةِ: (كانَ سيقتلُكَ اليومَ ولكنْ قضينا الليلَ ومعي بعضُ الأمراءِ نقنعُهُ أنكَ عربيٌّ مهاجرٌ مسكينٌ لا تقصدُ ما فعلتَهُ، وما فعلتَهُ كانَ بدافعِ المحبةِ لهُ و... و... حتى هدأَ غضبُهُ، وعندما أرسلَ إليكَ أسرعتُ وراءَكَ فهوـ غيرُ مضمونِ القرارِ.. الحمدُ للهِ الذي أنعمَ عليكَ بإقناعِهِ).

كانَ يومًا عصيبًا وبدأَ الخوفُ يغزو نفسي.. فأنا لا أعلمُ مَنْ ينقلُ للشكويِّ الأخبارَ.. وأعلمُ أنَّ هذهِ التغييراتِ أصبحتْ كثيرةً عليهِ وربما يكونُ الردُّ قاسيًا. بعدَ تفكيرٍ عميقٍ،

طرحتُ على أميرِ الجيشِ والشيخ أبي مصعبٍ البرناويّ أنْ نوقفَ خطاباتِ الشكويّ هذهِ بطريقةٍ فيها حكمةٌ ولطفٌ معهُ للمصلحةِ العامةِ؛ فهناك مَنْ ينتقدُ حركاتِهِ الغريبةَ في التسجيلاتِ وهيَ خارجَ أفريقيا ربما يقولونَ عنهُ غيرَ متزنٍ.. كذلكَ لديهِ تصريحاتٌ لا تخدمُ قضيةَ الجهادِ في نيجيريا.

شرحتُ لهمْ وجهةَ نظري: (المطالبُ لديكمْ لا علاقةَ لها بآلِ سعودٍ وما يشبهُهمْ.. لا نثيرُ مَنْ لا فائدةَ منْ إثارتِهمْ، قضيتُنا هنا أولاً إنقاذُ المسلمينَ منْ أفعالِ نصارى وملاحدةِ نيجيريا..

هذهِ المذابحُ لا بدَّ منْ إيقافِها بالقوةِ، وإنشاءِ دولةٍ لنا قويةٍ تأوي المستضعفينَ منْ المسلمينَ وتحكمُ بشريعةِ اللهِ، ثمَّ ندعو المسلمينَ للهجرةِ وحينَها سيأتي طاغوتُ نيجيريا

خاضعًا يفاوضُ حتى لا نصلَ مناطقَ النصارى.. كلُّ هذا يحتاجُ منكمْ أنْ يكونَ لكمْ متحدثٌ ذو لغةٍ وعلمٍ وقبولٍ).

تشاورَ القادةُ وذهبوا يقنعونَ الإمامَ بضرورةِ تعيينِ متحدثٍ كما تفعلُ كلُّ دولةٍ وجماعةٍ..

وما زالوا بهـ حتى اختارَ أبا مصعبٍ البرناويَّ لهذهِ المهمةِ.



الهجوم المضاد وأرض الأحلام

كانَ أولُ قرارٍ اتخذَهُ المتحدثُ الرسميُّ دونَ أنْ يرجعَ للشكويِّ هوَ العفوَ عنْ جميعِ السكانِ الذينَ هربوا عندَ قدومِ الإخوةِ إلى باقا.. والعفوَ عنْ مَنْ حملَ السلاحَ سابقًا

ضدَّهمْ بشرطِ التوبةِ، كانَ تغييرًا جعلَ الإعلامَ الفرنسيَّ والأمريكيَّ يتحدثُ عنْ أنَّ هناكَ اختلافًا كبيرًا في خطابِ بوكو حرام.

خرجتُ يومًا صباحًا وأنا أحلمُ أنْ أعيشَ في هذهِ الأرضِ، وأنْ أتزوجَ وأعملَ في التجارةِ.. خرجتُ أبحثُ عنْ سبلِ الرزقِ منْ تجارةٍ وزراعةٍ فوجدتُ أننا نحتاجُ أشياءَ كثيرةً كيْ تكونَ لنا مقوماتُ الدولةِ.. هذهِ الطرقُ لا بدَّ أنْ تكونَ آمنةً ومعبدةً ولوْ بالترابِ الثابتِ؛ لسهولةِ حركةِ التجارةِ منْ الكاميرون أوْ النيجر إلى هنا، هذا الزرعُ لا بدَّ منْ بشرٍ يحصدُهُ ويبيعُهُ، كانتِ الشعوبُ في تشاد والنيجر والكاميرون ونيجيريا تستهلكُ صيدَ البحيرةِ منْ الأسماكِ، وتأخذُ كفايتَها منْ محاصيلِ أرضِ البرنو؛ فهيَ خصبةٌ ومنبسطةٌ يشقُّها الماءُ منْ كلِّ مكانٍ.

تمنيتُ أنْ يأذنَ الشكويُّ بعمارةِ هذهِ المدنِ والبلداتِ، وأنْ يفعلَ فعلَ رسولِ اللهِ -صلى اللهُ عليهِ وسلمَ-؛ جلسَ في المدينةِ يؤسسُ الحكمَ ويربطُ نسيجَ سكانِها ويصبرُ على منافقيها ولكنْ يحذرُ منهمْ، وهمْ يخشونَهُ، وما كانَ إلا مدافعًا حتى تمكنَ منْ أمرِهِ ثمَّ هبَّ يدعوهمْ وهوـ يحملُ سيفَهُ أمامَ مَنْ وقفَ بينَهُ وبينَ دعوتِهِ للهِ.

أعلمُ أنَّ الطواغيتَ لنْ يتركونا ولكنْ همْ يحتاجونَ للوقتِ ونحنُ كذلكَ، بعدَ جولةٍ ليومٍ كاملٍ عدتُ محملًا بالأملِ والتفاؤلِ. ذهبتُ إلى أميرِ الجيشِ أخبرُهُ بما كنتُ أفكرُ فيهِ..

لماذا لا نقومُ بهذهِ الأمورِ؟ فالشكويُّ يملكُ مالاً كثيرًا لدعمِ الفكرةِ، وتبادلُ التجارةِ بيننا ومَنْ حولَنا جائزٌ، كلٌّ منا يحتاجُ الآخرَ الآنَ في أمرِ الدنيا لنستفيدَ منْ حاجتِهمْ للحصادِ والسمكِ، فقالَ لي محطمًا هذهِ الفكرةَ منْ أساسِها: (يا شيخُ، إنْ نحنُ تركنا الإخوةَ ينشغلونَ بهذا فسوفَ تدخلُ الدنيا قلوبَهمْ ويتركونَ الجهادَ كما جاءَ تحذيرُ اللهِ للمؤمنينَ:

﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، وتعلمُ أنها تحذيرٌ عندما ذهبوا للزرعِ، ولكنْ يكونُ بيتُ مالِ المسلمينَ منْ الغنيمةِ والفيءِ والزكاةِ..). قلتُ لهُ: إذًا الدعوةُ ليأتي العوامُّ فيعمروا هذهِ الأرضَ وتخرجَ بركتُها.

قررَ التحالفُ الأفريقيُّ الرباعيُّ مدعومًا بالطيرانِ الإسرائيليّ والفرنسيّ أنْ يبدأَ هجومًا بريًّا على مناطقِ الإخوةِ، فتلقى ضربةً مفاجئةً داخلَ بلدةِ بوسو في النيجر على ضفافِ بحيرةِ تشاد مخلفةً خسائرَ كبيرةً.

قامتْ قواتٌ مشتركةٌ منْ تشاد والكاميرون بدخولِ مدينةِ فوتوكول الكاميرونيةِ التي يفصلُها عنْ قمبارو -حيثُ ثغرُ الإخوةِ الشرقيُّ- نهرٌ صغيرٌ يعلوهُ الجسرُ القديمُ (مئةُ مترٍ فقطْ)، يقتربونَ بخوفٍ شديدٍ والسكانُ يغادرونَ المدينةَ، كنتُ قريبًا منْ المدينةِ فطلبَ مني قائدُها الحضورَ إليهِ، كانَ رجلاً عابدًا كثيرَ الصمتِ لا يضحكُ حتى تبدوَ أضراسُهُ بلْ

يبتسمُ فقطْ.. أخذَني في جولةٍ معَ نائبِهِ يشاوِرُني في خطتِهِ الدفاعيةِ، فاقترحتُ عليهِ أنْ نضعَ أعلامَ الحربِ في مواقعَ قربَ النهرِ يراها العدوُّ وكأننا لا نريدُهُ أنْ يراها فيظنَّها نقاطًا للإخوةِ.. بغرضِ التشتيتِ؛ لأنَّ العدوَّ تعودَ أنَّ الإخوةَ لا يُنزلونَ أعلامَهُمْ ويجعلونَها عندَ نقاطِ الارتكازِ.. فهمْ يعتبرونَ إنزالَها منْ الجبنِ.

كانَ القائدُ قدْ أعدَّ لهمْ كلَّ شيءٍ والمدينةُ في صمتٍ شديدٍ.. الكلُّ ينتظرُ لحظةَ الطلقةِ الأولى.

في عصرِ اليومِ التالي وبينما كنا نجربُ سلاحًا جديدًا في أطرافِ المدينةِ بعيدًا عنْ الحدودِ، سمعنا صوتَ المروحيةِ يقتربُ فأخفينا السلاحَ وجلسنا تحتَ الشجرِ نترقبُ، إنها مروحيةٌ كاميرونيةٌ تدخلُ أجواءَ المدينةِ منْ الناحيةِ الجنوبيةِ الشرقيةِ وتخرجُ سريعًا.. ذكرتْني تصرفاتُ الأمريكانِ في العراقِ قبلَ الهجومِ.. يكونُ جسُّ النبضِ.

كانتِ المفاجأةُ للطواغيتِ ولي أيضًا.. هجومًا مباغتًا للإخوةِ نحوِ فوتوكول، وتمَّ حرقٌ وقتلٌ وتدميرٌ في قوةِ العدوِّ الذي تراجعَ للخلفِ.. عادَ الإخوةُ سريعًا إلى قمبارو وانتشرَ خبرُهمْ مما زادَ الضغطَ الخارجيَّ على هؤلاءِ المرتزقةِ لدخولِ نيجيريا.

عدتُ إلى الفتحِ المبينِ وما زالتْ أحلامي أنْ أرى المستضعفينَ الذينَ يُقَتَّلُونَ في أفريقيا منْ النصارى، يعيشونَ الأمانَ في أرضٍ تُحكمُ بالشريعةِ.. فالحلمُ يحتاجُ جهدًا كبيرًا وتكاتفَ أهلِ الحقِّ. بدأَ الهجومُ على بلدةِ ميتشجا في الثغرِ الجنوبيِّ، وأعلنَ وزيرُ دفاعِهمْ بحوافزَ كبيرةٍ إنْ تقدمَ الجيشُ نحوِ العاصمةِ الفتحِ المبينِ.

ثأرٌ أم دولة وتكتيك الإمام

كانَ شابًّا منْ كانو لا يتجاوزُ عمرُهُ خمسًا وعشرينَ عامًا، طويلَ القامةِ، قويَّ البنيةِ، ذو شخصيةٍ قويةٍ تحبُّهُ منْ أولِ مجلسٍ لكَ معهُ، مثقفٌ ومطلعٌ لما يجري في الكونِ حولَهُ،

صفاتُ القائدِ أبي رقيةَ أميرِ الورشِ العسكريةِ.. أرسلَهُ الشكويُّ قديمًا معَ المجموعةِ التي تدربتْ في مالي، ثمَّ عادَ وتمردَ معَ أبي خالدٍ البرناويِّ، وقعَ في الأسرِ حتى تمَّ تحريرُهُ بعمليةٍ خاصةٍ لجماعةِ أهلِ السنةِ للدعوةِ والجهادِ نفذتْها على أحدِ السجونِ الكبيرةِ، فخرجَ وانضمَّ مرةً أخرى للجماعةِ الأمِّ، لأجلِ هذا التاريخِ المتمردِ لمْ يتمَّ تعيينُهُ في منصبِ قائدِ منطقةٍ رغمَ تأهيلِهِ، بدأتْ علاقتي بهِ منذُ الأيامِ الأولى لقدومي.

جاءَني القائدُ أبو رقيةَ صباحًا يخبرُني أنَّهُ سيخرجُ في معركةٍ كبيرةٍ جدًّا ولكنَّهُ مترددٌ، لأنَّهُ سيكونُ مسؤولَ الهاوزر الأكبرِ والتعليماتُ أنْ يرميَ بهِ عشوائيًّا في مايدوغري، فالإمامُ يريدُ حرقَ كلِّ شيءٍ، قلتُ لهُ: أليسَ في المدينةِ مسلمونَ؟ قالَ لي: عندي أنا نعمْ! ولكنَّ الإمامَ يقولُ: همْ معَ الطواغيتِ. ذهبتُ إلى الشيخِ محمدِ نورٍ أستفسرُ منْ هذا الأمرِ، فقالَ لي: هذهِ معركةٌ مصيريةٌ عندَ الشكويِّ ولا نستطيعُ قولَ شيءٍ.

أرسلتُ إلى أحدِ العلماءِ أطلبُ منهُ فتوىً صوتيةً تناسبُ هذهِ الحالةَ فالخلافُ في القصفِ العشوائيِّ، فهيَ مدينةٌ مكتظةٌ بالسكانِ، لمْ تفلحْ كلُّ محاولاتي معَ أميرِ الجيشِ والقادةِ لعدمِ القصفِ العشوائيِّ فالإمامُ استنفرَ كلَّ قوَّتِهِ لدخولِ مايدوغري.. سمعتُ قائدًا يقولُ مئتا صاروخٍ، وآخرَ يقولُ: حملوا عددًا منْ الهاوتزراتِ، وآخرَ يخبرُني عنْ المفخخاتِ، تحركتِ القوةُ في ذلكَ اليومِ منْ عدةِ محاورَ ولمْ أكنْ مشاركًا بلْ لمْ يشاركْ فيها إلا الأنصارُ، تمَّ دخولُ المدينةِ ومباغتةُ الجيشِ وجميعِ القواتِ، واستولى الإخوةُ على معظمِ المدينةِ حتى ظننتُ أنَّ الأمرَ انتهى معَ أخبارِ الغنائمِ وأكثرَ منْ مئةِ دبابةٍ.



دارتِ الكرةُ فجأةً، بحساباتٍ أرضيةٍ بحتةٍ، وبدأتْ قواتُ الإخوةِ في الانسحابِ واشتدَّ القصفُ منْ الطرفينِ، وكانَ للطيرانِ أكبرُ تأثيرٍ في المعركةِ فسلاحُ الجوِّ يضمُّ تحالفَ عدةِ دولٍ، وسقوطُ مايدوغري كارثةٌ بالنسبةِ للجميعِ. عادَ الجميعُ بعدَ عدةِ أيامٍ ولمْ يعدْ صاحبي أبو رقيةَ، فقدْ مضى إلى ربِّهِ -رحمَهُ اللهُ-.

وقبلَ عودةِ الإخوةِ إلى الفتحِ المبينِ كنتُ أتعجبُ كيفَ كانتْ هذهِ القدراتُ للإخوةِ، فمايدوغري منْ أكبرِ ستِّ مدنٍ في نيجيريا ويسكنُها مليونا نسمةٍ، ولكنْ جاءَني التفسيرُ سريعًا. في تلكَ الأمسيةِ وبينما كنتُ أتسامرُ معَ أميرِ الجيشِ عليو وأحدِ القادةِ، شعرتُ بأنَّ هناكَ أمرًا يخفونَهُ عني.. وكأنَّهمْ ينتظرونَ ذهابي ليخوضوا فيهِ.. خشيتُ أنْ يكونَ أمرًا شرعيًّا يغيرُ شيئًا مما اتفقنا عليهِ منْ خيرٍ.. فذكرتُ لهمْ أني أحسُّ أنَّ هناكَ خبرًا أوْ

أمرًا يثيرُ قلقَكمْ، قالَ لي عليو بهدوءٍ يشوبهُ حزنٌ: (سقطتْ قمبارو بأيدي الطواغيتِ..)

استرجعتُ وحمدتُ اللهَ والألمُ شديدٌ، لكنْ للهِ حكمةٌ، هكذا كانَ ردي.

صمتَ قليلاً ثمَّ قالَ لي: (كذلكَ دخلَ الطواغيتُ ميتشجا)، لمْ أتمالكْ نفسي حينَها وقلتُ

بصوتٍ عالٍ: "كيفَ أخي كيفَ.. مرةً واحدةً الاثنينِ.. ما الذي يحدثُ؟" فأجابَني

بهدوئِهِ المعتادِ: "الإمامُ سحبَ الرجالَ منْ الثغرينِ ليهجمَ على مايدوغري.. فأصبحَ ثغرًا

ضعيفًا، حتى الهاوزر الأكبرُ أخذوهُ إلى الهجومِ الجديدِ" كدتُ لا أعي ما أقولُ منْ هولِ

الخبرِ، فقلتُ دونَ تركيزٍ: (لا تطيعوهُ.. هذا جنونٌ..)، تفاجأَ القائدُ بقولي وردَّ باستنكارٍ

شديدٍ: "هاا أبا أيوبَ، ما هذا.. كيفَ نخالفُ.." حينَها عادَ لي وعيي فاستغفرتُ اللهَ

وقلتُ لهُ: واللهِ ما تحملتُ هذا الأمرَ فأنا تفاجأتُ بتفكيرِ الإمامِ بعدَ كلِّ ما تحدثنا فيهِ

منْ الحفاظِ على البلداتِ وأوهمَني أنَّهُ اقتنعَ، بكلِّ بساطةٍ نفرطُ في ثغرينِ في يومٍ واحدٍ منْ

أجلِ مايدوغري هذهِ . قالَ لي: الإمامُ لا يهمُّهُ سوى أنْ يبيدَ هؤلاءِ في مايدوغري فهيَ

أكثرُ مكانٍ حاربنا لأجلِ دينِنا. عادَ الجميعُ وانسحبَ الإخوةُ منْ قمبارو إلى ديكوا..

ليفقدوا بذلكَ مئةَ كيلومترٍ منْ الحدودِ الكاميرونيةِ، وكذلكَ عشرينَ كيلومترًا منْ ميتشجا

نحوِ العاصمةِ الفتحِ المبينِ. كانتْ رؤيةً منامية غريبةً لكنَّها رسالةٌ منْ اللهِ وتطمينٌ للعبدِ

الفقيرِ، هذا ما نواصلُهُ غدًا إنْ شاءَ اللهُ.

رؤيا حق ورفع المظالم

كانتْ رؤيةً منامية عجيبةً حيثُ أني رأيتُ فيما يرى النائمُ "أني في غرفةٍ كبيرةٍ وفي وسطِها

سريرٌ ضخمٌ مرتفعٌ واسعٌ وعلى هذا السريرِ يرقدُ الإمامُ الشكويُّ وبجانبِهِ يجلسُ عليو أميرُ

الجيشِ، فسلمتُ عليهما ثمَّ جلستُ بقربِ أميرِ الجيشِ فأخذَ الشكويُّ يتحدثُ معي قائلاً:

أينَ أنتَ أيُّها الرجلُ، لماذا تغيبُ عني؟ فقلتُ لهُ: أميرُ الجيشِ يمنعُني منْ الحضورِ إليكَ..

فأخذَ بيدي ونزلَ منْ سريرِهِ ليتحدثَ معي على انفرادٍ، فجأةً أصبحَ قصيرًا جدًّا وأنا في نفسِ طولي، فاضطررتُ أنْ أدنوَ منْ الأرضِ لأتحدثَ معهُ وجهًا لوجهٍ وأنا متعجبٌ مما حدثَ، فأخذَ يشكو لي منْ الجميعِ ويتوددُ إليَّ في الحديثِ" هكذا كانتْ رؤيتي.

لمْ أجدْ منْ يأولُها لي وقتَها ولمْ أكنْ أتصورُ أنْ يأتيَ يومٌ فيأمرُ الشكويُّ بقتلي، فقدْ كانَ يزعمُ أنَّهُ يحبُّني في اللهِ، كانَ تأويلُ الرؤيةِ (أنَّ ملكَ الشكويِّ سيتقلصُ جدًّا وأني أنجو منهُ).

بدأتْ مرحلةُ الانهيارِ.. وسقوطُ البلداتِ والمدنِ في زمنٍ قياسيٍّ حتى الطواغيتُ تعجبوا وصرحَ كبيرُهمْ أنَّ بوكو حرام لديها خطةٌ ولا يمكنُ أنْ يكونَ تقدمُ الجيشِ سريعًا هكذا.

لنْ أتحدثَ عنْ المعاركِ وشراستِها ولكنْ سأذكرُ وقفاتٍ معَ سقوطِ المناطقِ وأسبابِ

ذلكَ.. كما قالَ أحدُ القادةِ "كأنَّ اللهَ يريدُنا أنْ نبدأَ منْ جديدٍ بعدَ التوبةِ ورفعِ المظالمِ عنْ خلقِهِ". غدًا نلتقي.

المغرب الإسلامي وسقوط العاصمة

سقطتْ مناطقُ كثيرةٌ منْ هنا وهناك بأيدي التحالفِ، ودائمًا يحدثُ الانسحابُ بسببِ قلةِ العتادِ وانقطاعِ الإمدادِ.. فطريقةُ الشكويِّ كانتْ غريبةً جدًّا في احتكارِ مخزونِ الأسلحةِ عندَهُ في الغابةِ ولا تخرجُ طلقةٌ إلا بعلمِهِ، فعندما تنفدُ الذخيرةُ لا تستطيعُ أخذَ غيرِها إلا أنْ تعودَ إلى غابةِ سمبيسا وتأخذَ الإذنَ وترجعَ للمعركةِ.. هكذا كانتْ تعليماتُهُ منذُ اغتالَ الأميرَ السابقَ للجيشِ.

أذكرُ معركةَ بلدةٍ تبعدُ مئةَ كيلومترٍ عنْ الفتحِ المبينِ رأيتُ الإخوةَ يجرونَ هاوزرًا بعجلاتٍ دعمًا للإخوةِ بعدَ أكثرَ منْ حوالي عشرِ ساعاتٍ منْ طلبِهِمْ المددَ، وهذا زمنٌ كبيرٌ جدًّا

فِي عمرِ معركةِ بلدةٍ.. كلُّ ذلكَ أدى للانسحاباتِ حتى دنتِ المعركةُ منْ حدودِ غابةِ سمبيسا، وتمَّ محاصرةُ الفتحِ المبينِ والتي كانتْ أصغرَ بلدةٍ لكنَّها كانتْ جميلةً وموقعُها استراتيجيٌّ على حدودِ الغابةِ وتبعدُ خمسةَ عشرَ كيلومترًا منْ حدودِ الكاميرون، حينَها خرجَ الشكويُّ فِي خطابٍ حماسيٍّ يستنفرُ الجميعَ للدفاعِ عنْ الفتحِ المبينِ.

تبقتْ عدةُ مناطقَ متقطعةٍ عنْ بعضِها بأيدي المجاهدينَ، ولكنْ كانَ الجميعُ يستطيعُ الوصولَ إلى العاصمةِ الفتحِ المبينِ. كنتُ أقفُ معَ بعضِ الإخوةِ نستمعُ لكلمةِ الإمامِ الشكويِّ عنْ النفيرِ وتحريضِهِ للمسلمينَ.. كانتْ بالهوسا ولكنْ كنتُ أسمعُ الناسَ يصيحونَ بالتكبيرِ معَ ارتفاعِ صوتِهِ الجهوريِّ.. وهكذا خرجَ الجميعُ منْ كلِّ مكانٍ.. آلافٌ قدموا منْ بلداتٍ مشيًا على الأقدامِ وغالبُهُمْ بدونِ سلاحٍ فقطْ استجابةً للهِ ورسولِهِ بطاعةِ الإمامِ إذا استنفرَ، كانَ حدثًا لمْ أشاهدْ مثلَهُ قطُّ.

اشتدتِ المعركةُ وكانتِ الدباباتُ هيَ أكثرَ الأسلحةِ في المعركةِ.. ورغمَ خسارةِ

الطواغيتِ لعددٍ منها بعملياتٍ انغماسيةٍ فرديةٍ لبعضِ الإخوةِ وهمْ يحملونَ حقائبَ بها

ألغامٌ مثلَ الأحزمةِ، يطاردُ أحدهُمُ الدبابةَ على قدميهِ فيظنُّهُ السائقُ مجنونًا فيتوجهُ إليهِ

وتكونُ المفاجأةُ.. رأيتُ أحدهمْ يقفزُ في سبطانةِ الدبابةِ كأنَّها لعبةٌ.. هكذا (بوووم) تحسمُ

كلَّ شيءٍ.. ولكنْ لمْ يكنِ الصمودُ طويلاً حتى أمرَ الشكويُّ بحرقِ المدينةِ.. فأُحرِقتْ

وانسحبَ الإخوةُ نحوِ آخرَ معقلٍ لهمْ حولَ الغابةِ وهيَ بلدةُ بيتا.

انفصلَ الشمالُ تمامًا، ومنْ الشرقِ تبقى طريقٌ سريٌّ واحدٌ، وما زالتْ منطقةُ غابةِ

تمبوكتو صامدةً، وهيَ غربَ غابةِ سمبيسا يفصلُهما شارعٌ أسفلتيٌّ فقطْ يربطُ مايدوغري

بمدينةِ بيو جنوبًا.

جاءَني أميرُ الجيشِ يخبرُني أنَّ الإمامَ قررَ الخروجَ بنفسِهِ لأولِ مرةٍ في معركةِ الدفاعِ عنْ بلدةِ "بيتا"، فسألتُهُ متعجبًا: ألَمْ يخرجْ منْ قبلُ؟! قالَ لي: لا.. لَمْ يخرجْ منْ الغابةِ منذُ دخلَها إلا مرةً واحدةً صلى فيها الجمعةَ في مسجدِ الفتحِ المبينِ الكبيرِ بعدَ فتحِها.

خرجتُ في تلكَ الليلةِ معَ أميرِ الجيشِ والشيخِ أبي مصعبٍ إلى جبلِ الشبكةِ (هكذا نسميهِ).. وبينما نحنُ هناكَ، أرسلَ أميرُ تنظيمِ القاعدةِ في المغربِ الإسلاميِّ رسالةً للشيخِ يتقربُ إليهِ فيها بالمودةِ ومحبةِ أبيهِ، ويطلبُ منهُ تبليغَ سلامِهِ للإمامِ الشكويِّ، وأنَّ منْ نصرةِ الدينِ أنْ يقفوا معنا في هذهِ الحملةِ العسكريةِ بما يملكونَ.. وكانوا حينَها أكثرَ تسليحًا منْ الإخوةِ.

أعطاني الشيخُ الرسالةَ فقرأتُها، بصراحةٍ فرحتُ كثيرًا وقلتُ: لعلَّ اللهَ أنْ يجعلَ هذا جمعًا لشملِ المجاهدينَ في العالمِ وتحالفَ نصرةٍ بينَهمْ.. لكنَّ الشيخَ قالَ لهُ: هلْ تعلمُ أننا معَ دولةِ

الإسلامِ الآنَ؟ فردَّ عليهِ: "نعمْ أعلمُ ولكنَّكمْ إخوانُنا تحتاجونَ إلينا"، قلتُ لهُ: لماذا لا توافقُ على معاونتِهِمْ لنا؟ فأجابَني: (حتى أستأذنَ الدولةَ فالأمرُ لهُ تبعاتُهُ.. فهمْ يقولونَ نحنُ إخوانُهمْ وفي ليبيا يقولونَ عنْ الإخوةِ غلاةٌ.. وكلُّنا دينُنا واحدٌ، فأخشى أنْ يكونَ محاولةَ اختراقٍ لنا).

بدأَ القادةُ يتشاورونَ بينَهمْ فيما صارَ إليهِ أمرُهمْ وأجمعوا على أنَّ سببَ ما حدثَ هوَ قراراتُ الشكويِّ العسكريةُ القاتلةُ والتي خرجتْ نتيجةَ عدمِ ثقتِهِ في أحدٍ، وعدمِ اهتمامِهِ بفقدِ كلِّ المناطقِ فهوـ صارَ يتجسسُ على غالبِ القادةِ.. وقدْ علموا ذلكَ.

ثمَّ جاءَ اليومُ الذي لا أنساهُ أبدًا ما دمتُ حيًّا.. يومَ أرسلَ لي الإمامُ الشكويُّ وأنا في خيمتي في الغابةِ رسولاً يطلبُ قدومي وحدي بدونِ إخبارِ أحدٍ.

الإغراء بالمال وبداية النهاية

كانَ أبو المنذرِ صديقي أحبُّهُ لصفاءِ قلبِهِ وصدقِهِ.. لكنَّهُ كانَ صارمًا اليومَ فجرًا حينَ أخبرَني أنَّ الإمامَ يريدُني وحدي الآنَ.. خرجتُ بدراجتي الناريةِ وتفكيري كلُّهُ فيما حدثَ بالأمسِ، حيثُ تقدمَ أحدُ القادةِ في أحدِ المحاورِ وكادَ أنْ يصلَ إلى مدينةِ باما التي احتلَّها الطواغيتُ ولكنهُ تراجعَ لمزيدٍ منْ التجهيزاتِ.. القائدُ بانا عمر ذو شجاعةٍ وحنكةٍ أميرُ منطقةِ باما.. حصلَ على غنائمَ وذخيرةٍ فأرسلَ الشكويُّ في طلبِها جميعًا.. لمْ يبقِ لأحدٍ سوى خزنتِهِ الخاصةِ.. وأصبحَ القائدُ في حيرةٍ كيفَ يتقدمُ! وأرسلَ يطلبُ منْ الإمامِ المددَ للهجومِ واستعادةِ الطريقِ إلى باما.. قالَ لهُ: خذْ غنائمَ وتقدمْ مرةً أخرى..!!

طوالَ الطريقِ منْ خيمتي حتى مقرِّ الإمامِ لَمْ أجدْ ما يذهبُ حيرتي.. دخلتُ عليهِ في مجلسِهِ وكانَ هادئًا مبتسمًا.. "تفضلْ أبا أيوبَ بالجلوسِ"، تكلمَ معي وهوَ يكثرُ النظرَ إلى عينيَّ كأنَّهُ يريدُ قراءةَ ما وراءَ كلماتي.. قلتُ لهُ: (يا إمامُ، الأمورُ تسيرُ بطريقةٍ لنْ نستطيعَ معها الدفاعَ عنْ سمبيسا نفسِها، ألا ترى أنَّ القومَ خرجوا بعدَ كلمتِكَ حينَ استنفرتَهمْ، بلا سلاحٍ منْ بلدةِ البحرينِ سيرًا على الأقدامِ نحوِ الفتحِ المبينِ، ماذا يفعلونَ إنْ لمْ تعطِهمُ السلاحَ؟) أجابَني جوابًا زادَني حيرةً، قالَ لي: "لمْ يخبرْني أحدٌ أنَّهمْ فعلوا ذلكَ.. فأنا ليسَ عندي سلاحٌ يكفيهمْ..".

تبادلنا حوارًا بكلِّ صراحةٍ حتى قالَ لي: (أبا أيوبَ، أنا لا أثقُ في كلِّ القادةِ فقدْ أمرتُهمْ ألا يغيبوا عني يومينِ، وها هوَ أميرُ الشمالِ ستةَ أيامٍ لمْ يأتِني ولا أدري ما يفعلُ منْ ورائي فكيفَ أتركُ لهمْ سلاحي.. ثمَّ ربما يتركوني هنا بدونِ سلاحٍ ويأخذوا كلَّ

شيءٍ..)، قلتُ لهُ: "يا إمامُ، إنَّهمْ جميعُهمْ أبناؤكَ يحبونَكَ ولا يمكنُ أنْ يفعلَ أحدهُمْ أمرًا ضدَّكَ، ليتَكَ تخبرُهُمْ بما في نفسِكَ وينصلحُ الأمرُ.. حبسُ السلاحِ والذخيرةِ سنفقدُ معه ُكلَّ شيءٍ وسيأتي الطواغيتُ إلى هنا"، بدا الغضبُ على وجهِهِ ثمَّ قالَ لي: أنا أرسلتُ إليكَ أسألُكَ سؤالاً واضحًا: "أنتَ معي أمْ أعطيكَ مالاً وتذهبُ إلى حيثُ تريدُ"؟! علمتُ حينَها أنَّهُ يمتحنُني.. فأجبتُهُ: (يا إمامُ، لوْ أردتُ مالاً ما كنتُ سآتي إلى هنا.. بلْ سأبقى معَكَ ولكنْ سأبتعدُ عنْ كلِّ شيءٍ).. قالَ لي: حسَنًا.

خرجتُ والحزنُ يملأُ قلبي، ماذا أفعلُ؟ يبدو أنَّ الأمرَ لنْ يتغيرَ، والقادةُ لا يخبروني ما يدورُ بينَهمْ وقيادةِ الدولةِ، خشيتُ على نفسي فقررتُ أنْ أكونَ مسلمًا يسكنُ ديارَ الإسلامِ فقطْ وأعملَ في التجارةِ فيما تبقى منْ بلداتٍ في الشمالِ.

تمرُّ الأيامُ ونفقدُ قائدًا جديدًا، دونَ أنْ نعلمَ كيفَ قُتِلَ، ثمَّ يأتيني أميرُ الجيشِ يقولُ لي: أريدُ أنْ أخبِرَكَ أمرًا لتكونَ على حذرٍ: (أنا أعلمُ كلَّ مَنْ قتلَهمُ الإمامُ ومَنْ كانَ يقتلُ لهُ.. وكنتُ سابقًا أراهُ على الحقِّ ولوْ أمرَني لفعلتُ.. لكني يشهدُ اللهُ أني تبتُ إليهِ منْ كلِّ ما فعلتُ منْ أخطاءٍ بأوامرِ الإمامِ) فرحتُ حتى نسيتُ همومي فالقائدُ عليو أميرُ الجيشِ الحافظُ لكتابِ اللهِ منْ خيرةِ المجاهدينَ الذينَ رأيتُهمْ في حياتي. قالَ لي: كنْ حذرًا على نفسِكَ منْ الإمامِ.



منتصفَ إحدى الليالي، يرتفعُ صوتُ المضاداتِ وأستيقظُ مسرعًا نحوِ منطقةِ الاشتباكاتِ فلمْ أجدْ شيئًا، كانَ معي عددٌ منْ الإخوةِ نبحثُ عنْ مصدرِ الصوتِ.. أخبرَنا أحدهُمْ أنَّ الطواغيتَ تقدموا نحوِ بيتنا على أطرافِ الغابةِ وأنَّ الإمامَ خرجَ بنفسِهِ. مرتِ الليلةُ دونَ هجومٍ فقطْ كانتْ طلقاتٍ في الهواءِ دونَ تقدمٍ.

أرسلَ لي الإمامُ مرةً أخرى، هذهِ المرةَ كانَ كلُّ شيءٍ واضحًا.. (أبا أيوبَ، سأخبرُكَ خبرًا إنْ أخرجتَهُ فإنَّها الفتنةُ..) هكذا قالَها وكأني أرى الشرَّ كلَّهُ قدِ اجتمعَ في عينيهِ، أصابَني الخوفُ حقيقةً على نفسي.. أتذكرُ حديثَ عليو أميرِ الجيشِ.. قلتُ لهُ بابتسامةٍ تخفي خوفي: (بالتأكيدِ يا إمامُ لا يجوزُ لي إفشاءُ السرِّ). فتهللتْ أساريرُهُ وقالَ: (قررتُ عزلَ أميرِ الجيشِ والبرناويِّ وعددٍ منْ القادةِ، وستكونُ أنتَ منْ خاصتي)، كأنَّ قلبي توقفَ.. شعرتُ أنَّ الموتَ قدِ اقتربَ مني ولكنْ ليسَ في معركةٍ عادلةٍ.

جاسوس يهودي وعزل القادة

(إنَّهم يسألون الدولةَ في العراقِ عنْ أمورٍ قدْ أفتيتُ فيها منْ قبلُ، أنا لا أثقُ فيهمُ الآنَ وفي تواصلاتِهمْ منْ ورائي) هكذا بدأ يشرحُ لي أسبابَهُ وأنه يريدُني في شورتِهِ وأنْ يكونَ ولائي لهُ، مما يعني أنَّ المهاجرينَ يقفونَ معهُ ويُقالُ: المهاجرُ أبو أيوبَ يؤيدُ الشكويَّ فيما فعلَ، يعني سوءَ مَنْ عزلَهمْ، حاولتُ أنْ أثنيَهُ عنْ قرارِهِ وأنَّ كلَّ شيءٍ يتمُّ حلُّهُ بالحوارِ بينَهمْ وذكرتُهُ بولائِهمْ وسمعِهمْ لهُ سنينَ، ولكنْ لمْ يكنْ قرارًا للنقاشِ، ختمَ حديثَهُ معي: (أبو أيوبَ.. إذا أخبرتَ أحدًا فهذهِ الفتنةُ..).

تمنيتُ لوْ كنتُ مهاجرًا جنديًّا مجهولًا في أرضِ الإسلامِ لمْ أعرفِ الشكويَّ يومًا.. ذلكَ القائدُ الذي أحببتُهُ قبلَ أنْ أهاجرَ إليهِ، لشدَّتِهِ على الكفارِ وقوةِ بأسِهِ.. وعندما قدمتُ بينَ يديهِ ازددتُ لهُ حبًّا وأنا أستمعُ إليهِ وأرى الصدقَ في عينيهِ.. حتى إذا خضنا في أمورِ

السياسةِ الشرعيةِ والدعوةِ والدينِ.. تحولَ الإمامُ الورعُ التقيُّ في نظري إلى شخصٍ آخرَ، كأني عدوُّهُ. أخبرَني أحدُ القادةِ منْ أقربائِهِ قبلَ لقائي بالشكويّ، أنَّ الإمامَ يتواضعُ للعلمِ ويقفُ على حدودِ اللهِ ولوْ علمَ خطأً رجعَ عنهُ، فكانتْ شجاعتي معهُ بسببِ هذا الظنِّ الحسنِ، ولكنْ لعلَّ الشكويَّ قررَ أنْ يضعَ حدًّا لما يراهُ تمردًا على فتاويهِ، واختارَ عزلَ القادةِ في وقتٍ حرجٍ جدًّا، وتحجيمَ تحركاتي.

رجعتُ إلى مقري ووجدتُ هناكَ مَنْ ينتظرُني، أميرُ الجيشِ والشيخُ أبو مصعبٍ وقائدٌ آخرُ.. علمتُ منْ نظراتِهِمْ أنَّهمْ ينتظرونَ أنْ أخبرَهمْ ماذا قالَ لي الإمامُ. كنتُ في خوفٍ منْ المجهولِ ورغبةٍ أنْ أخبرَهمْ بالأمرِ فالحدثُ خطيرٌ وتبعاتُهُ كبيرةٌ.. لكنْ علمتُ أنَّ الوعدَ لا يمكنُ أنْ أخالفَهُ باجتهادي، كما أنَّ المخالفةَ تعني القتلَ. بادرَني القائدُ أبو عائشةَ: (ها ماذا قالَ لكَ الإمامُ؟ وجهُكَ ليسَ الوجهَ الذي نراكَ بهِ دائمًا.. لعلَّهُ أمرٌ جديدٌ)

أخذتُ أتحدثُ إليهمْ عنْ ضرورةِ التوددِ معَ الإمامِ والذهابِ إليهِ وتهدئةِ نفسِهِ فهو كالأبِ بالنسبةِ لهمْ.. وأنَّ الإمامَ تحدثَ معي حديثًا يجدُ عليهمْ فيهِ.. فلا بدَّ أنْ يذهبوا فيجددوا ولاءَهمْ لهُ.

قالَ لي أبو عائشةَ متعجبًا منْ حديثي: (أنتَ تدافعُ عنهُ سبحانَ اللهِ.. وقدْ جمعَنا بالأمسِ ليلاً يخبرُنا أنَّ اليهودَ أرسلوكَ إلى هنا لتفسدَ علينا دينَنا) .. يا اللهُ ما هذا.. هلْ أنا في حلمٍ.. نظرتُ للبرناويِّ وقائدِ الجيشِ لعلَّهما يكذِّبانِ ما سمعتُ، لكنَّهمْ أكدوا لي ذلكَ..

وقالوا لي: هذا الإمامُ أصبحَ في حالةٍ نخشى عليكَ فيها.

جلستُ ليلتي أتفكرُ كيفَ سارتِ الأمورُ منذُ جئتُ إلى هنا، تغيرتْ أمورٌ كثيرةٌ بفضلِ اللهِ وصارَ مَنْ يتبنى هذا الأمرَ همُ القادةُ وعلى رأسِهِمْ أميرُ الجيشِ والشيخُ أبو مصعبٍ، استجابوا لأقوالِ العلماءِ وقادوا التغييرَ، ولوْ أني أنا سببُ هذا عندَ الشكويِّ فهمْ شركائي،

إذًا بعدَ عزلِ هؤلاءِ لنْ يتركَني بلْ ربما مصيري هوَ مصيرُ القائدينِ مصطفى شاد وعلي كاكا -رحمهما اللهُ-.

ذهبتُ إلى أميرِ الجيشِ فجرًا أطلبُ منهُ أنْ يأذنَ لي بالخروجِ، لا أريدُ أنْ يقتلَني مسلمٌ غدرًا، قالَ لي: لا تذهبْ سأحميكَ، قلتُ في نفسي: "إنهُ لا يستطيعُ بعدَ اليومِ حمايةَ نفسِهِ فهو لا يدري نيةَ الإمامِ". بعدَ عونِ اللهِ خرجتُ معَ أحدِ القادةِ لمكانتي بينَ الجنودِ وأخذتُ طريقي بعيدًا عنْ سمبيسا نحوِ حدودِ الكاميرون حاولتُ الاستفادةَ منْ علاقتي بأحدِ التجارِ لعبورِ الحدودِ، وقراري أنْ لا أكونَ في أرضِ الشكويِّ فجنودُهُ سيتغيرونَ عليَّ لوْ عزلَ القادةَ وطلبَني. فشلتْ كلُّ محاولاتي، فقررتُ العودةَ إلى سمبيسا فالخروجُ بدونِ مساعدةِ أميرِ الجيشِ لا يمكنُ.

رجعتُ بدراجةٍ ناريةٍ وذهبتُ مباشرةً لمقرِّ الإمامِ، أفكرُ أنْ أخبرَهُ أني أريدُ الخروجَ لعلَّهُ يسعدُ بذلكَ ويتركُني، استقبلَني الحرسُ الشخصيُّ وذهبَ لإعلامِ الشكويِّ بقدومي ولكنْ بعدَ دقائقَ فقطْ وجدتُهُ يعودُ ومعهُ أميرُ الجيشِ عليو.. دخلَ عليَّ الخيمةَ والفزعُ في عينيهِ ويستعجلُني: (لماذا عدتَ؟ لقدْ علمتُ بخروجِكَ ليلاً وكنتُ ضدَّ ذلكَ لأني ظننتُ أني أحميكَ، لكنَّ الآنَ أخبرَني الإمامُ أنهُ عزلَني والبرناويَّ، والخبرُ لمْ ينتشرْ بعدُ فانصحُكَ بالخروجِ سريعًا الآنَ.. لوْ أرسلَ الإمامُ مَنْ يقتلُكَ فإنَّهُ فيفي "يقصدُ حرسًا خاصًّا للشكويِّ".. كنْ على حذرٍ) ثمَّ أعطاني وصيةً للقادةِ في منطقةٍ حدوديةٍ لإخراجي في مهمةٍ خاصةٍ.

سباقٌ معَ الزمنِ.. هكذا خرجتُ.. وثقتي باللهِ أني سأنجو منْ مكرِ هذا الرجلِ.. فما أتيتُ إلا نصرةً للدينِ وقدْ كانَ بفضلِ اللهِ، وما أظنُّهُ يستطيعُ أنْ يغيرَ هذا الإصلاحَ في مفاهيمِ جنودِهِ بعدَ أنْ وافقنا أولاً عليهِ..

وتذكرتُ رؤيةً مناميةً أولَها لي شيخٌ بأني سأنجو منْ الشكويِّ ومنْ حاكمِ بلادي، فلوْ صدقتْ رؤيتي فإني سأعودُ إلى بلدي دونَ أذىً يصيبُني.. فقررتُ المضيَّ في طريقي.

العدالة أصل القيادة

معَ بزوغِ الفجرِ عبرتُ حدودَ الكاميرونِ معَ المهربِ وكنتُ أحملُ قليلاً منْ المالِ بالعملةِ المشتركةِ للدولِ الفرانكفونيةِ (سيفا) وكانَ معي آخرونَ لكني الوحيدُ ذو بشرةٍ صفراءَ، كنتُ أظنَّ أنَّ الجميعَ هنا أسودُ اللونِ وأحملُ همًّا لذلكَ، لكنْ بعدَ عدةِ كيلومتراتٍ نمرُّ

على قريةٍ سكانُها بسحنةٍ لمْ أتوقعْها.. بشرةٌ بيضاءُ يتكلمونَ لغةً عربيةً لا أكادُ أفهمُهمْ، أخبرَني السائقُ أنَّهمْ قبائلُ مسلمةٌ أصولُها عربيةٌ.. سبحانَ اللهِ.. (إنَّ سياحةَ أمتي الجهادُ). كانَ المهربُ لديهِ عيونٌ في الطريقِ يمرُّ بهمْ يسألُهمْ ثمَّ فجأةً خرجتْ سيارةٌ عسكريةٌ منْ وسطِ الأشجارِ بها مجموعةٌ يقودُهمْ ضابطٌ منْ الجيشِ، استوقفَنا الضابطُ وأنزلونا للتحري والتفتيشِ. كانتْ لحظاتٍ عصيبةً ظننتُ أنَّ المهربَ سيتصرفُ، والضابطُ يكررُ سؤالَهُ باللغةِ الفرنسيةِ ونحنُ صامتونَ ثمَّ وجهَ الكلامَ إليَّ: "ألا تعرفُ اللغةَ الإنجليزيةَ أوْ الفرنسيةَ؟" أجبتهُ بالفرنسيةِ أني أعرفُ، فتركَ الجميعَ وقالَ لي: "مَنْ أنتَ ولماذا تتواجدُ في هذا المكانِ الخطرِ؟" حاولتُ تأليفَ قصةٍ عنْ ضياعي ونهبِ مالي منْ عصابةٍ و.. و.. لكنَّهُ لمْ يقتنعْ، رأيتُ المهربَ يرتجفُ خوفًا، فقلتُ: إنَّها نهايتُنا.

أخيرًا أمرَ الضابطُ أحدَ عساكرِهِ بأخذِ السائقِ إلى سيارتِهِمُ العسكريةِ وأمرَ آخرَ أنْ يقودَ السيارةَ ويأتي خلفَهُ لنذهبَ إلى نقطةِ الجيشِ.. أسرعتُ أتحدثُ معَ المهربِ أقولُ لهُ: "تصرفْ يا هذا".. قالَ لي: لقدِ انتهى كلُّ شيءٍ سيأخذونَنا للموتِ هناكَ، إنَّهُ يشكُّ أننا بوكو حرام!!

أثناءَ سيرِنا إلى مقرِّ الجيشِ كانَ معنا مساعدُ المهربِ في السيارةِ وأخذَ يحاولُ إقناعَ العسكريِّ بالفديةِ.. وفجأةً توقفتِ السيارةُ العسكريةُ أمامَنا.. جاءَنا المهربُ وهوَ مضطربٌ وبادرَنا بالحديثِ: (معكمْ مالٌ؟ نريدُ .... ألفَ سيفا) سنعودُ إنْ دفعنا.. هكذا دفعنا كلَّ ما معنا جميعًا. وعدنا ونحنُ لا نصدقُ ما حدثَ، فقد| أجابَ اللهُ تضرعَنا.

دخلتُ على الإخوةِ في إنجمينا ولمْ يكنِ| أحدٌ يعلمُ أني هاربٌ من| الشكويِّ، الجميعُ يظنُّ أني رسولُ أميرِ الجيشِ في مهمةٍ خاصةٍ لا يعلمونَ عنها شيئًا.. بدأتُ ترتيبَ حالي لأهاجرَ إلى الشامِ وكانَ الأمرُ صعبًا جدًّا لكنَّهُ ليسَ بالمستحيلِ.

بعدَ عدةِ أيامٍ.. اتصلَ بي أميرُ الجيشِ يقولُ لي: لقدْ خرجتُ معَ أبي مصعبٍ وبعضِ القادةِ هربًا منْ سمبيسا.. لقدْ أرسلَ الشكويُّ مَنْ يقتلُني في بيتي لكنَّ الحرَسَ كانَ مستيقظًا فنجوتُ.. والآنَ نحنُ في الشمالِ.

أصدرَ الشكويُّ صوتيةً بالهوسا يتهمني فيها بالخيانةِ والمؤامرةِ لاستلامِ السلطةِ والإمامةِ بمشاركةِ أميرِ الجيشِ ومعرفةِ البرناويِّ، وأفتى بردتي وأخبرَ عنْ مكانِ تواجدي (استباحةِ الدمِ). لمْ تكنِ الكلمةُ هذهِ قدِ انتشرت| خارجَ سمبيسا بعدُ حينَ علمتُ بها.. ولكنَّ خبرَ

عزلِ عليو وصلَ إلى إنجمينا، فأخبرَني بهِ أحدهُمْ وكانَ يحبُّني فنصحَني أنْ ألزمَ الصمتَ فالجميعُ هنا ينتظرونَ التوجيهاتِ الجديدةَ.

علمتُ أني لمْ أنجُ بعدُ، فتركتُ ترتيباتِ الهجرةِ إلى الشامِ وقررتُ العودةَ إلى بلادي. فطريقُ الجنةِ يحتاجُ لوقفاتٍ معَ النفسِ.. فلا أريدُ أنْ ألقى اللهَ بدمٍ فيهِ شبهةٌ ناهيكَ أنْ أضطرَّ للدفاعِ عنْ نفسي بينَ مَنْ همْ إخوتي. خرجتُ منْ المقرِّ في العاصمةِ التشاديةِ ولمْ يعلمْ بي أحدٌ منهمْ.. وسلكتُ طريقي إلى الحدودِ ثمَّ ودعتُ تلكَ الديارَ بقلبٍ قدْ أثقلتْهُ التجاربُ كما أنهكَهُ الحزنُ.. ففي يومِ خروجي بلغَني مقتلُ الأسدِ الموحدِ الذي كانَ قلبَ الدولةِ في نيجيريا وقائدَ التغييرِ الحقيقيِّ، العابدِ.. التائبِ المجاهدِ.. الحافظِ لكتابِ اللهِ الأميرِ عليو -رحمهُ اللهُ- غدرًا بيدِ جنودِ الشكويِّ الذينَ أرسلَهم خلفَهُ ليأسروهُ أوْ يقتلوهُ.. فكانَ اختيارُ اللهِ لهُ.

فارقتُ أرضَ الجهادِ بقلبٍ مكلومٍ، وقدْ وقعَ الشيخُ البرناويُّ وبعضُ إخوتِهِ في الأسرِ عندَ الشكويِّ الذي أصابَهُ جنونُ الشكِّ في كلِّ شيءٍ.. فقتلَ الملا عمرَ ونائبَهُ صاحبَ الفتوحاتِ ومقارعةِ جيشِ الكاميرونِ، وقتلَ القائدَ أبا آريجي الذي لوْ كانَ عندَ الطواغيتِ لأعطوهُ رتبةَ فريقٍ وتوليتَهُ التصنيعَ الحربيَّ في أيِّ دولةٍ.. وقتلَ.. وقتلَ أكثرَ منْ عشرةٍ منْ خيرةِ القادةِ لإنهاءِ كلِّ تمردٍ عليهِ في ظنِّهِ.. وكلُّ شخصٍ قتلَهُ بحجةٍ مختلفةٍ.

رفعتُ شكوتي إلى اللهِ أولاً ثمَّ إلى قيادةِ الدولةِ حيثُ السلطةُ العليا عليهِ.



وتظلمتُ عنْ نفسي ونيابةً عنْ الشهداءِ الذينَ مضوا بدمٍ باردٍ. فجاءَني خبرُ محاكمتِهِ بعدَ بلوغي دياري.. أطلقَ الشكويُّ سراحَ الشيخِ أبي مصعبٍ ولكنْ تركَ أمَّهُ وزوجتَهُ وذريتَهُ في وصايتِهِ داخلَ الغابةِ وحظرَ تحركاتِهِمْ.. ونساءُ القادةِ الآخرينَ كذلكَ ليضمنَ عدمَ سعي البرناويِّ التمردَ عليهِ..

فمكانةُ أبي مصعبٍ بينَ الجماعةِ عظيمةٌ فهو ابنُ المؤسسِ -رحمهُ اللهُ- الشيخِ أبي يوسفَ.

جاءَ القرارُ أخيرًا بعزلِ الشكويِّ عنْ الولايةِ وتعيينِ البرناويِّ خلفًا لهُ.. فجرائمُ القتلِ لمْ تثبتْ لدى المحكمةِ الدنيويةِ.. ولكنْ لمخالفتِهِ تعليماتِ وفتاوى الدولةِ تمَّ عزلُهُ. عندَ ذلكَ جنَّ جنونُهُ وصرحَ بعقيدتِهِ في كلمةٍ مشهورةٍ بأنَّهُ لا يعلمُ مسلمًا في مايدوغري منذُ مئةِ عامٍ، وحتى لا يفقدَ جنودَهُ الذينَ ربّاهمْ على السمعِ والطاعةِ للأميرِ، فكانَ لزامًا عليهمُ

اتباعُ البرناويّ؛ فأخرجَ البرناويَّ منْ الملةِ بأنهُ يعذرُ المشركينَ (أيْ يعذرُ مَنْ لمْ يكفرِ الشعوبَ)، وتوددَ للدولةِ أنهُ على بيعتِهِ لكنَّهُ لا يتبعُ مرتدًّا.

هكذا قبلَ أميرُ الشمالِ والبحيرةِ بيعةَ البرناويِّ وبدأَ توافدُ آلافِ الجنودِ منْ الغابةِ وغيرِها إلى مناطقِ الشمالِ والبحيرةِ.. وأصبحَ الشكويُّ يقبضُ على كلِّ مَنْ يفكرُ في الخروجِ منْ الغابةِ وربما يُقتَلُ مباشرةً. وبدأتْ مرحلةُ جديدةٌ في منطقةِ البرنو بصراعٍ لمْ يدمْ طويلاً.. فرغمَ تجنبِ الولايةِ الصدامَ معَ الشكويِّ الرافضِ لعزلِهِ، لكنَّهُ غدرَ بهمْ مرتينِ؛ مرةً يومَ كانَ الجيشُ يحاصرُهمْ منْ ثلاثةِ محاورَ في غابةِ تمبكتو.. فهجمَ عليهمْ منْ المحورِ الرابعِ ولكنْ نازعَهُ أحدُ قادتِهِ بأنْ لا يفعلَ ذلكَ واهتزتْ معنوياتُ المهاجمينَ أتباعِهِ بعدَ إنكارِ أبي زنيرةَ على الشكويِّ بأنَّهمْ رغمَ الخلافِ فهمْ إخوانُهمْ.. فكانتِ العاقبةُ أنَّ الشكويَّ

قتلَهُ وأعلنَ لأولِ مرةٍ قتلَ قائدٍ منْ قادتِهِ في كلمةٍ أمامَ جنودِهِ وأنهُ يقتلُهُ لمصلحةِ الدينِ، واستطردَ قائلاً: "قدْ قتلتُ غيرَهُ منْ قبلُ لأجلِ الدينِ".

ثمَّ كانتِ القاصمةُ حينَ هجمَ على نساءِ وذراري الإخوةِ في البحيرةِ، أثناءَ غيابِ الإخوةِ في إحدى المعاركِ.. فسباهمْ كما يسبي نساءَ المرتدينَ.. حينَها قررَ الشيخُ البرناويُّ وقادتُهُ الهجومَ على سمبيسا ومحاكمةَ الشكويِّ ومَنْ يبقى معهُ بجرائمِ القتلِ كلِّها.. فكانَ ما اشتهرَ للعالمينَ جميعًا.. حيثُ رفضَ الشكويُّ الاستسلامَ يومَ محاصرتِهِ وفجّرَ حزامَهُ الناسفَ.. ليموتَ هوَ وحارسُهُ الشخصيُّ وتُطوى صفحةٌ مليئةٌ بالدماءِ الطاهرةِ "نحسبُها" ولا أقولُ إلا ما يرضي اللهَ.

انقطعتْ علاقتي بجبهةِ غربِ أفريقيا لأني أصبحتُ خارجَها وتمَّ منعُ التواصلِ معي إلا أنْ أعودَ بتعليماتٍ عليا.. لكنْ أصابَني ما أصابَ كثيرًا مثلي.. الوهنُ وحبُّ الدعةِ..

وربما كبرُ السنِّ والمرضُ منْ كثرةِ الأسرِ.. فقررتُ أخيرًا أنْ أكتبَ للتاريخ ما كانَ ولماذا تأخرنا عنْ النصرِ في غربِ أفريقيا، وأنَّ تصحيحَ مسارِ الجهادِ لا بدَّ لهُ منْ ثمنٍ وإنْ كانَ غاليًا.. وأتمنى أنْ يكونَ ما حدثَ بعدَ ذلكَ هوَ ما نحبُّهُ.. فكلُّ موحدٍ صادقٍ يفرحُ بتطبيقِ شرعِ اللهِ في أرضِهِ.. فمنْ العراقِ إلى هنا عشرونَ عامًا ونيفٌ لعلَّ اللهَ يسعدُني بمغفرةِ الذنوبِ بكلمةٍ كتبتُها انتفعَ بها مَنْ يصبحُ يومًا ما قائدًا.

بقلم

عدنان عبسي

توضيحات :

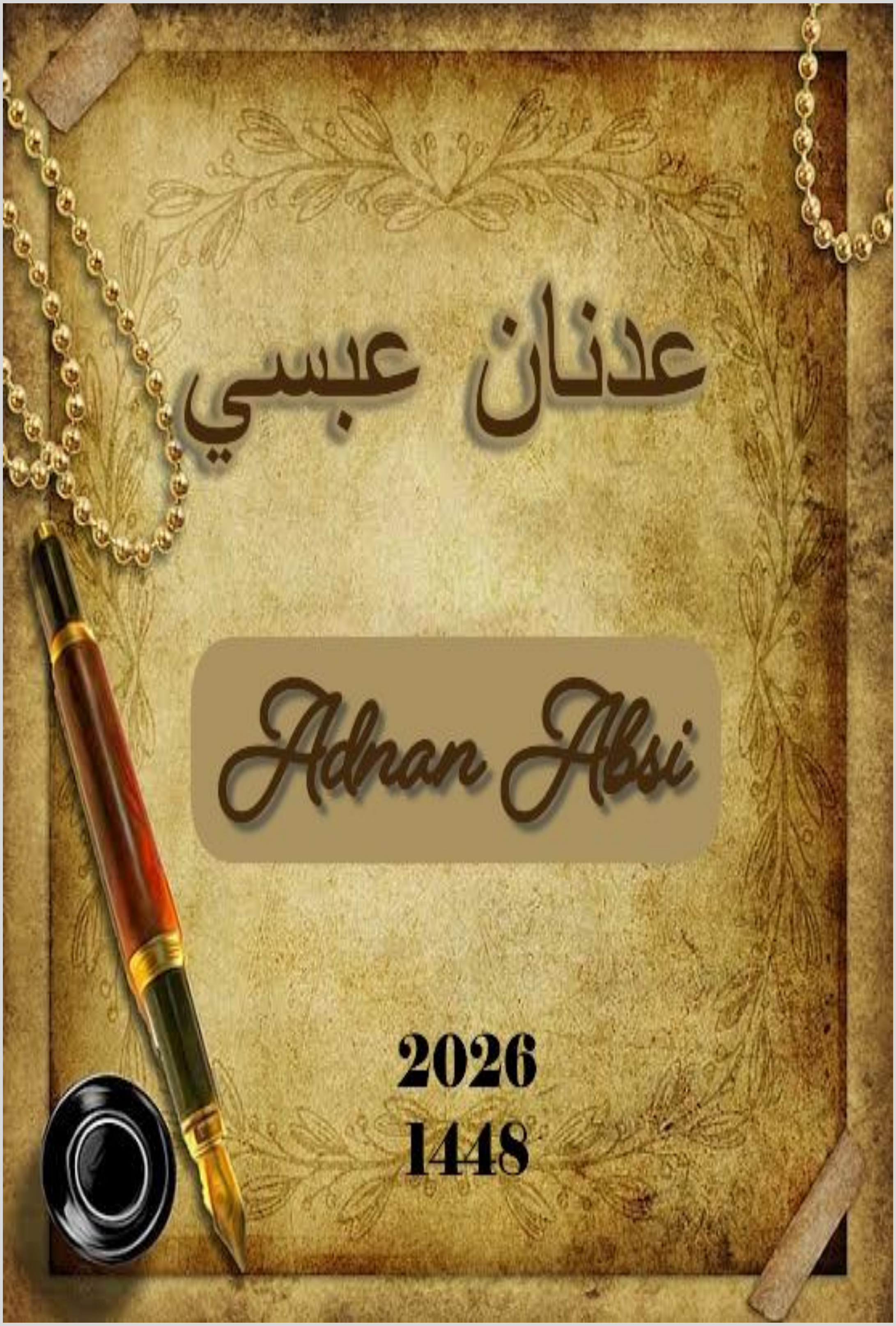
- **سمبيسا غابة يبلغ مساحتها 60 ألف كيلومتر تقع شمال شرق ولاية البرنو تعتبر محمية طبيعية حسب قوانين الاحتلال البريطاني**

- **مايدوغري عاصمة ولاية برنو هي من أكبر مدن نيجيريا وبها أكبر قوة عسكرية في شرق البلاد وتعتبر معقل الحركة الدعوية للجماعة .**

- **تعتبر منطقة حكم الجماعة من أغنى المناطق الزراعية ومصدر الثروة السمكية لأربعة دول .**

- **كانت الحدود النيجيرية من بحيرة تشاد تخضع لسلطة الجماعة تماماً وجزء كبير من حدود تشاد والنيجر .**

- طريق فوتوكول _قمبارو هو أقصر طريق تجاري بين دول الشرق الأفريقي ونيجيريا وبسيطرة الجماعة علية تعطلت الحركة التجارية تماماً.
- لا يوجد أي نشاط تجاري أو زراعي تحت رعاية الجماعة في مناطق السيطرة .
- الاقتصاد يعتمد تماماً على الغنائم والفيء والزكاة والصدقات وعمليات فداء الأسرى
- لم يكن هناك مجلس شورى أو نائب للإمام حتى بعد البيعة .


عدنان عبسي
Adnan Absi
2026
1448